التوحيد

مجلة إسلامية - ثقافية - شهرية
تصدر عن جماعة أنصار السنة المحمدية

السنة الثلاثون - العدد الثامن - شعبان ١٤٢٢ هـ - الثمن ١٠٠ قرش

وما تخفي صدورهم أكبر!!

النظر إلى التلفاز!!

إن بعض الظن إثم!!

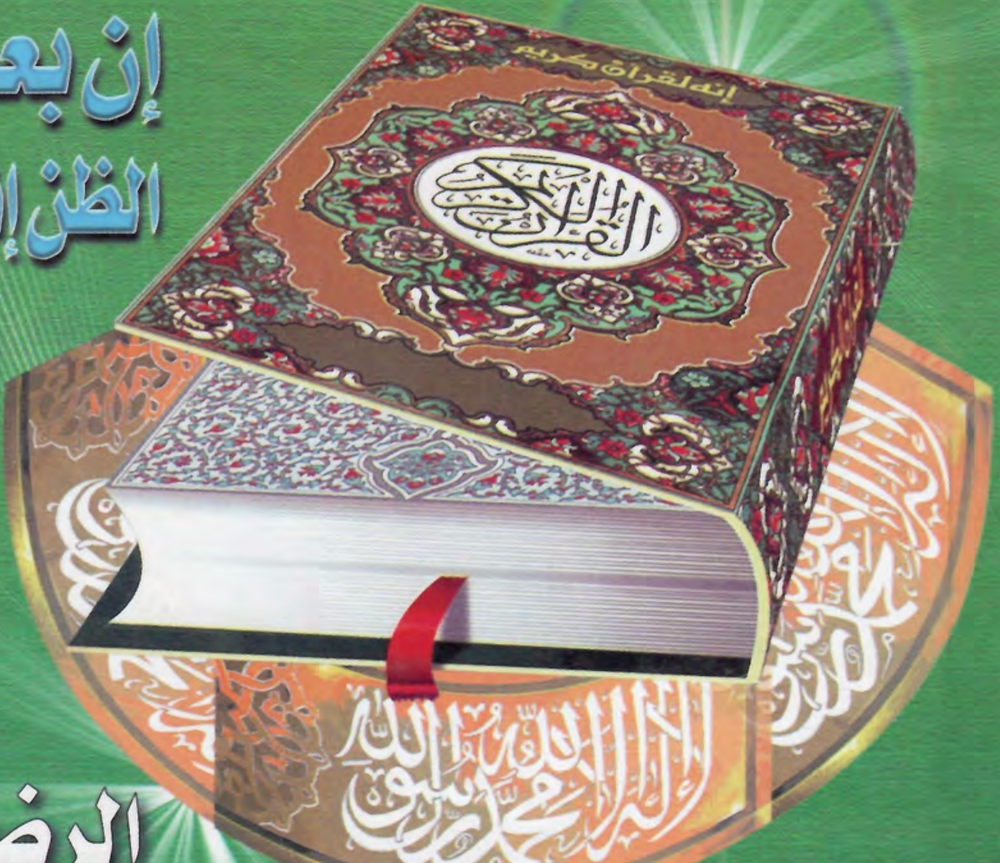
إنه لقرآن كريم
القرآن الكريم
لا إله إلا الله محمد رسول الله

الرضاع

حكم الاحتفال بليلة النصف من شعبان!!

صاحبة الامتياز
جماعة أنصار السنة المحمدية

رئيس مجلس الإدارة **محمد صفوت نور الدين**

التوحيد

مجلة إسلامية ثقافية شهرية

المشرف العام

د. جمال المراكبي

اللجنة العلمية

زكريا حسيني

محمود غريب الشربيني

جمال عبد الرحمن

د. إبراهيم الشربيني

الاشتراك السنوي:
١- فى الداخل ١٥ جنيها (بحوالة بريدية داخلية باسم مجلة التوحيد - على مكتب بريد عابدين).
٢ - فى الخارج ٢٠ دولارا أو ٧٥ ريالا سعوديا أو ما يعادلها.
ترسل القيمة بحوالة بنكية أو شيك. على بنك فيصل الاسلامي - فرع القاهرة - باسم مجلة التوحيد - انصار السنة (حساب رقم / ١٩١٥٩٠).

فى هذا العدد

الافتتاحية الرئيس العام النظرة الإيمانية ٢
حديث الشهر المشرف العام محبة الله عز وجل ٥
باب التفسير د/ عبدالعظيم بدوى سورة الحديد ٨
باب السنة الرئيس العام الرضاع ١٢
كلمة التحرير رئيس التحرير ١٦
وما تخفى صدورهم أكبر
قصيدة حسن ابو الغيط إن بعض الظن أثم ٢٠
الرؤيا بين الحقيقة والخيال د/ محمد الشويعر ٢١
ليلة النصف من شعبان الشيخ فتحى عثمان ٢٤
دفاع عن السنة الشيخ مصطفى درويش ٢٦
المنطوق والمفهوم الشيخ اسامة سليمان ٢٧
ركن الأسرة د/ابراهيم الشربينى ٢٩
لا يا دعاة التقريب د/على الوصيفي ٣٣
واحة التوحيد ٣٦
الإعلام بسير الأعلام الشيخ مجدى عرفات ٣٨
اسباب النصر الموعود د/ الوصيف على حزة ٤٢
النظر إلى التلفاز ايمن محمد الصيحى ٤٥
الفتاوى ٤٦
كتب حذر منها العلماء ٥٠
فرق حذر منها العلماء ٥١
وقفات لابد منها احمد سعد ابو النجا ٥٣
باب السيرة الشيخ عبدالرازق السيد عيد ٥٦
ابناؤنا والمستقبل المنتظر ٥٩
الشيخ جمال عبدالرحمن
اصلاح العقيدة الشيخ معاوية هيكل ٦٢
اقرأ من مكتبة المركز العام علاء خضر ٦٤
تحذير الداعية من القصص الواهية ٦٦
الشيخ على حشيش
متى نصر الله خليل الكامرونى ٦٩
من روائع الماضى الشيخ محمد صادق عرنوس ٧١

مطابع الأهرام التجارية - قليوب - مصر

المركز العام: القاهرة - ٨ شارع قوله - عابدين
هاتف: ٣٩١٥٥٧٦ - ٣٩١٥٤٥٦

رئيس التحرير جمال سعد حاتم **مدير التحرير الفنى** حسين عطا القراط

التحرير
٨ شارع قوله -
عابدين - القاهرة
ت : ٣٩٣٦٥١٧ فاكس : ٣٩٣٠٦٦٢
قسم التوزيع والاشتراكات : ت : ٣٩١٥٤٥٦

التوزيع الداخلي :
مؤسسة الأهرام
وفروع أنصار السنة المحمدية

ثمن النسخة :
مصر جنيه واحد ، السعودية ٦ ريالات ، الامارات ٦ دراهم ، الكويت ٥٠٠ فلس ، المغرب دولار أمريكي ، الأردن ٥٠٠ فلس ، العراق ٧٥٠ فلس ، قطر ٦ ريالات ، عمان نصف ريال عماني .

السلام عليكم

أمريكا... أين الحقيقة؟!

أمريكا دولة مسالمة ! تدافع عن الحق! وتحمي الفضيلة! وتصون الضعفاء من بطش الأقوياء!! لذا فإنها في أفغانستان توجه الطائرات المقاتلة إلى الصدور العارية؛ صديق لدود، وعدو حميم في البلد الواحد! تدمر المدن في أفغانستان!! وتمد اليد تطعم بها الجوعان! تحمي المرأة من زوجها الذي يمنعها الزنا! وتعطي للبنت الحرية للدعارة! تحارب الإدمان! وتشفق على المدمنين، فتعطيهم حقن الإدمان بالمجان! بها ستة ملايين متشرد، كانوا يومًا ما بين العاملين والمديرين والمسئولين، وبها أكثر من خمسين مليون كلب ينعمون بالدفء في البيوت! تحرم على المسلم أن يتزوج بثانية! وفيها من يجمع بأكثر من عشر نسوة في عصمته!!

أمريكا دولة التكنولوجيا المتطورة تقيم مؤسسات قراءة الكف والفنجان!

أمريكا عرفت الجاني في حوادث اكلاهوما بعد ست سنوات، وقضت ببراءة المسلمين، وبعد ست دقائق قررت قتل بن لادن؛ لأنه مدبر تفجيرات واشنطن ونيويورك!!

لسان حالها يقول : من لم يوافقنا فهو إرهابي ! ومن يقتل الفلسطينيين فهو من أحبابي! ترفع عصا اللص بيد الشرطي! والعالم يتضامن معها تضامن الخائف الجبان!!

عدد قطع السلاح المرخصة في أمريكا تساوي عدد أفراد الشعب الأمريكي!!

ودولة الظلم ساعة، ودولة العدل إلى قيام الساعة. فحسبنا الله ونعم الوكيل.

الرئيس العام

المراسلات باسم المشرف العام

بسم الله الرحمن الرحيم

النظرة الإيمانية

بقلم الرئيس العام

الحمد لله، والصلاة والسلام على خير خلقه محمد وآله وصحبه.. وبعد:

إن النظرة الإيمانية تقتضي أن نعلم أن الغنى والفقر قد قدرهما الله عز وجل، وقد يقترن الغنى بالسعادة وقد لا يقترن، والفقر كذلك، وإن الصحة والمرض من قدر الله، وقد تقترن الصحة بالسعادة، وقد لا تقترن إلا بالشقاء، وأن العقم والإنجاب من قدر الله، وأنه قد يقترن بالولد السعادة، وقد يكون الولد شؤمًا على والديه، بل على أُمته؛ لذا فعلى العبد أن يسعى في تنفيذ ما كُلف به، طلبًا لمرضاة ربه، وطلبًا للجنة، فإن الشيطان يَعِدُ العبدَ الفقر ويحثه على ترك أمر الله سبحانه، وقد فعل ذلك مع آدم وحواء حتى أخرجهما من نعيم الجنة، فوسوس لهما وقال: ﴿هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لاَ يَبْلَى. فَأَكَلاَ مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا﴾ [طه: ٢٠، ٢١].

ومن النظرة الإيمانية أن نؤمن أن النصر من عند الله كما قال سبحانه: ﴿وَلاَ تَهِنُوا وَلاَ تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٩]، وقال تعالى: ﴿وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ [آل عمران: ١٢٦].

إن النظرة الإيمانية تقتضي بأن يوقن المسلم أن الكون كله بيد مدبره، وأنه إنما جعل الأسباب وعلق بها المسببات رفقًا بالناس ورحمة بهم، لا أن الأسباب هي التي يُركن إليها ويعتمد عليها، ولذلك فعلى المسلم ألا يُقدِّم على التزام الشرع شيئًا؛ لأن رب الشرع هو رب الكون خالق كل شيء ومدبر الأمر، فعلى كل واحد أن يعمل لمرضاة الله تعالى، لا يخلط معه غرضًا سواه، لكنه كثيرًا ما يعتري المسلمين عامتهم، بل وخاصتهم وكثيراً من دعاتهم التأثر بالنظرة المادية والاستخفاف بالنظرة الإيمانية ويهوله ويغره تقلب الذين كفروا في البلاد، مع أن المتتبع للتاريخ الطويل يرى أن النظرة الإيمانية هي الصواب، ففرعون صاحب الجيش الجرار والبطش الشديد، ينطبق عليه البحر ويرث بنو إسرائيل الأرض من بعد فرعون وملئه، وقوم نوح وعاد وثمود وقوم لوط لما كذبوا الرسل أصابهم ما قص علينا ربنا في كتابه الكريم، حيث نَصَر المؤمنين، وأوقع عذابه ونقمته على الكافرين.

النظرة المادية

يبحث الرجل عن مستقبل مادي لولده، ويبحث عن رجل غني زوجًا لابنته، يظنون أن الفراش الوثير والطعام الكثير والمال المتدفق هو سبب السعادة، كلهم ينظر النظرة المادية في شروطه التي يشترطها في زوجته وشريكته ومستقبل ولده، خائفًا من الفقر، متناسيًا قول الله تعالى: ﴿ الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ

وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلاً﴾ [البقرة: ٢٦٨]، وقوله سبحانه: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ إِن شَاء﴾ [التوبة: ٢٨]، وقوله سبحانه: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يونس: ٨٥]، ويقول النبي ﷺ: «وهل تنصرون وترزقون إلا بضعفائكم».

درس إيماني عظيم

قال تعالى حكاية عن بني إسرائيل: ﴿إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوَاْ أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ. وَقَالَ لَهُمْ نِبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَن يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَى وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلآئِكَةُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ. فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلاَّ مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُواْ مِنْهُ إِلاَّ قَلِيلاً مِّنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ قَالُواْ لاَ طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلاَقُو اللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ. وَلَمَّا بَرَزُواْ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُواْ رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ. فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ﴾ [البقرة: ٢٤٧-٢٥١].

فالنظرة المادية تتضح في قول بني إسرائيل: نحن أحق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال، والنظرة الإيمانية في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ﴾، وقوله: ﴿وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاء﴾، وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي﴾، وقوله: ﴿قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلاَقُو اللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ﴾، وقوله تعالى: ﴿وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ﴾.

فالله ينصر المؤمنين، فسبب النصر: الإيمان، والله مع الصابرين، فسبب معية الله للعبد: الصبر، والله يعذب المذنبين، فسبب العذاب والبلاء: الذنوب التي يقع فيها الناس.

قال تعالى: ﴿فَكُلاً أَخَذْنَا بِذَنبِهِ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٠].

فلو وعى الناس ذلك لخافوا من ذنوبهم خوفًا اشد من خوفهم من عدوهم، ولأحبوا الطاعة والصالحات من الأعمال أكثر من أموالهم وأبنائهم، وعشيرتهم.

أثر النظرة الإيمانية على الأقوال والأفعال

كثيرًا ما يسأل الناس عن المقارنة بين عمرة أو حج تطوع وبين التصدق بذلك المال على الفقراء والمساكين، ويرى الكثير أن الأفضل للعبد التصدق على الفقراء، ولكن شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى أجاب بإيثار الحج والعمرة، وقد جاءت فتوى شيخ الإسلام في مجموع الفتاوى المجلد ٢٦ ص١٠، ١١، وكانت هيئتها غريبة، فالسائل نظم سؤاله شعرًا، والشيخ أجابه على وزن سؤاله شعرًا.

سُئل رحمه الله تعالى:

ماذا يقول أهل العلم في رجل
آتاه ذو العرش مالاً حج واعتمرا
فهزه الشوق نحو المصطفى طربًا
ترون الحج أفضل أم إيثاره الفقرا

أم حجه عن أبيه ذاك أفضل أم
ماذا الذى يا سادتي ظهرا
فافتوا محبًا لكم فديتكمو
وذكركم دأبه إن غاب أو حضرا

فأجاب رحمه اللّه:

نقول فيه بأن الحج أفضل من
فعل التصدق والإعطاء للفقرا
والحج عن والديه فيه برهما
والأم أسبق في البر الذي ذكرا
ولكن إذا الفرض خص الأب كان إذا
هو المقدم فيما يمنع الضررا
كما إذا كان محتاجًا إلى صلة
وأمه قد كفاها من يرى البشرا
هذا جوابك يا هذا موازنة
وليس مفتيك معدودًا من الشعرا

وتوضيح كلام شيخ الإسلام أن حديث النبي ﷺ: «تابعوا بين العمرة والحج، فإنهما ينفيان الفقر والذنوب كما ينفي الكير خبث الحديد والذهب والفضة»، فإذا كان ينفي الفقر، أي: ييسر لصاحبه المال الذي يعينه على الصدقة إن كان صادق النية في ذلك، فهو سيوسع اللّه له في المال بسبب الحج والعمرة، فيقدمه في أبواب الصدقة التي يرغب فيها، هذا والعبد لا يسع المحتاجين بماله، لكنه يمكن أن يسعهم بدعائه، فرب دعوة استجابها الله سبحانه فرفع كربًا عن المكروبين لا يستطيع الداعي رفعه بما يملكه من مال ومتاع، فالدعاء سبب، بل هو أفضل الأسباب وأقواها، فمن تعلق بالدعاء فأخلصه لله تعالى فقد أخذ بأنجع الأسباب.

ومن هذا المنطلق نريد أن نوضح أن الجهاد روح الإسلام وذروة سنامه، لكن النبي ﷺ قال: «وهل تنصرون وترزقون إلا بضعفائكم». وفي الحديث الذي أخرجه مسلم عن عائشة رضي اللّه عنها قالت: خرج رسول اللّه ﷺ قبل بدر، فلما كان بحرة الوبرة أدركه رجل قد كان يذكر منه جرأة ونجدة، ففرح أصحاب رسول اللّه ﷺ حين رأوه، فلما أدركه قال لرسول اللّه ﷺ: جئت لأتبعك وأصيب معك، قال له رسول اللّه ﷺ: «تؤمن باللّه ورسوله؟» قال: لا، قال: «فارجع فلا أستعين بمشرك»، قالت: ثم مضى حتى إذا كنا بالشجرة أدركه الرجل، فقال له كما قال في أول مرة، فقال له النبي ﷺ كما قال أول مرة، قال: «فارجع فلن أستعين بمشرك». قالت: ثم رجع، فأدركه بالبيداء، فقال له كما قال أول مرة: «تؤمن باللّه ورسوله؟». قال: نعم، فقال له رسول اللّه ﷺ: «فانطلق».

انظر كيف لا يرى النجدة والجرأة نافعة إلا مع الإيمان، فكثير من الناس اليوم ينسون ذلك، فيعلو في نظرهم المشاركة المادية في الجهاد، فإن رأوا أن ضُلّالاً من الشيعة اجتهدوا في قتال اليهود أو جعلوا أبواقًا تندد بالأمريكان؛ تغاضوا عن ضلالاتهم، بل ودافعوا عن مذهبهم الباطل، مع أنهم يعلمون من أقوال النبي ﷺ: «أنه لا يدخل الجنة إلا مؤمن» و«إن اللّه يؤيد الدين بالرجل الفاجر».

فالشيطان يريد أن يشغلنا عن هذا الواجب الذي حضر وقته بالواجب الذي بعد وقته وغاب، وهذه من أشد حيل الشيطان ومكره.

هذا الفهم تَتَبعُه في نصوص القرآن والسنة مفيد وهام، لكنه واسع طويل فالإنسان مخلوق لعبادة ربه: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ. مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ. إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ [الذاريات: ٥٦، ٥٧].

والله من وراء القصد.

بقلم د. جمال المراكبي

محبة الله عز وجل

الحلقة الثانية

أصل المحبة المحمودة التي أمر الله بها وخلق الخلق لأجلها هي ما في عبادته وحده لا شريك له، إذ العبادة متضمنة لغاية الحب بغاية الذل.

فحب الله وعبادته وحده لا شريك له أصل السعادة في الدارين، وأهل التوحيد الذين أحبوا الله وعبدوه وحده لا شريك له لا يبقى منهم في العذاب أحد.

والذين اتخذوا من دونه أندادًا يحبونهم كحبه، وعبدوا غيره هم أهل الشرك الذين لا يغفر الله عز وجل لهم أبدًا ويخلدهم في النار: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨].

المحبة النافعة والمحبة الضارة

فكل عمل لا بد أن يصدر عن محبة وإرادة، فالمحبة المحمودة النافعة هي التي تجلب لصاحبها ما ينفعه وهو السعادة، والمحبة الضارة هي التي تجلب لصاحبها ما يضره وهو الشقاء، والعاقل العالم لا يختار أن يحب ما يضره، فإن فعل ذلك فعن جهل وظلم، أو عن اعتقاد فاسد واتباع للهوى.

فالذي يحب لقاء قريب من رحمه فمحبته محمودة، وهذا من صلة الرحم التي هي شجنة من الرحمن، لكن إن اتبع هواه، حتى خرج عن حدود العدل بين ذوي القربى وغيرهم كان هذا ظلمًا، قال تعالى: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُواْ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى﴾ [الأنعام: ١٥٢].

والذي يحب الطعام والشراب والنساء فحبه هذا محمود وبه ينصلح حال بني آدم، ولولا ذلك لما استقامت الأنساب ووجدت الذرية، ولكن يجب العدل والقصد في ذلك وضبطه بميزان الشرع: ﴿وكُلُواْ وَاشْرَبُواْ وَلاَ تُسْرِفُواْ إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ [الأعراف: ١٣١]، ﴿إِلاَّ عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ. فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾ [المؤمنون: ٦، ٧]، ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ﴾ [آل عمران: ١٤]، ﴿كَلاَّ بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ. وَتَذَرُونَ الآخِرَةَ﴾ [القيامة: ٢٠، ٢١].

قال السعدي رحمه الله: هذا الذي أوجب لكم الغفلة والإعراض عن وعظ الله وتذكيره لكم أنكم تحبون العاجلة وتسعون فيما يحصلها وفي لذاتها وشهواتها وتؤثرونها على الآخرة، فتذرون العمل لها؛ لأن الدنيا نعيمها ولذاتها عاجلة، والإنسان مولع بحب العاجل، والآخرة متأخر ما فيها من النعيم المقيم، فلذلك غفلتم عنها وتركتموها كأنكم لم تخلقوا لها، وكأن هذه الدار هي دار القرار التي تبذل فيها نفائس الأعمار، ويسعى لها آناء الليل والنهار، وبهذا انقلبت عليكم الحقيقة، وحصل من الخسارة ما حصل.

فلو آثرتم الآخرة على الدنيا ونظرتم للعواقب

نظر البصير العاقل، لأنجحتم وربحتم ربحًا لا خسار معه، وفزتم فوزًا لا شقاء يصحبه. انتهى كلامه رحمه الله.

ولهذا نعى الله على المعرضين عن الآخرة بقوله: ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءهُمْ يَوْمًا ثَقِيلاً﴾ [الإنسان: ٢٧]، وأهل الدنيا العاملون لها على حساب الآخرة يندمون على ذلك يوم القيامة أشد الندم، فبعد أن كانوا في الدنيا معرضين عن اتباع الرسول، يحبون العاجلة ويذرون الآخرة، يحبون المال حبًا جمًا، تراهم في الآخرة يعضون الأصابع من الندم، يوم لا ينفع الندم: ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الإنسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي﴾ [الفجر: ٢٣، ٢٤]، ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً. يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلاً. لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنسَانِ خَذُولاً﴾ [الفرقان: ٢٧- ٢٩]. اهـ.

المستحق للعبادة والمحبة!!

لا يستحق أحد أن يُعبد ويطاع على الإطلاق إلا الله وحده لا شريك له، وإنما نطيع رسله لأنهم يأمرون بطاعته، ونطيع أولي الأمر إذا أمروا بطاعته.

وعبادة الله صادرة عن حبه جل وعلا: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي...﴾ [آل عمران: ٣١]، وكما أن أعظم ما يناله العبد من المحبات محبة الله تعالى لعباده المؤمنين، حتى أنه سبحانه يتوعد من عادهم: «من عادى لي وليًا فقد آذنته بالحرب..». فكذلك فإن أعظم محبات المؤمنين محبتهم لربهم عز وجل، كما قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُواْ أَشَدُّ حُبًا لِّلَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥].

ولهذا لم يرض الله إلا بأن يكون هو ورسوله أحب إليهم من الأهل والمال والولد، فقال سبحانه: ﴿قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ﴾ [التوبة: ٢٤]، وقال: ﴿مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلاَ يَخَافُونَ لَوْمَةَ لائِمٍ﴾ [المائدة: ٥٤].

ومن حقق هذه المحبة فقد حقق الإيمان وتذوق حلاوته، قال رسول الله ﷺ: «ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يلقى في النار».

وإذا كان أصل الإيمان العملي هو حب الله تعالى وحب رسوله، وحب الله أصل التوحيد العملي، وهو أصل التأليه الذي هو عبادة الله وحده لا شريك له، فإن العبادة أصلها أكمل أنواع المحبة مع أكمل أنواع الخضوع، وهذا هو الإسلام.

وأعظم الذنوب عند الله الشرك به، وهو سبحانه لا يغفره أبدًا، وأصل الإشراك العملي هو الإشراك بالله في المحبة، فالمؤمنون أخلصوا دينهم ومحبتهم وطاعتهم لله عز وجل، والمشركون اتخذوا من دون الله أندادًا يحبونهم كحب الله.

ومحبة الرسول ﷺ هي من محبة الله، وكذلك كل حب في الله، قال ﷺ: «من أحب لله وأبغض لله وأعطى لله ومنع لله، فقد استكمل الإيمان».

فمحبة ما يحبه الله لله من الأعيان والأعمال من تمام المحبة لله، وهو الحب في الله ولله.

ومحبة ما يحبه الله من الأعمال الظاهرة والباطنة (وهي الواجبات والمستحبات)، من محبة الله وهذا يوجب محبة الله لعبده، كما في حديث الولاية.

ومحبة كلام الله وأسمائه وصفاته كما في حديث سورة الإخلاص، وكذلك محبة ملائكة الله وأنبيائه وعباده الصالحين: «اللهم إني أسألك حبك، وحب من يحبك، وحب كل عمل يقربني إلى حبك». رواه الترمذي، وقال: حسن صحيح.

بل محبة الله مستلزمة لمحبة ما يحبه من الواجبات، فإن اتباع الرسول من أعظم ما أوجبه الله على عباده وأحبه، وهو سبحانه أعظم بغضًا لمن أعرض عن اتباع نبيه، فمن كان صادقًا في دعوى محبة الله اتبع رسوله لا محالة، وكان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وقدم محبتهما على محبته للأهل والمال والولد: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ. قُلْ أَطِيعُواْ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّ

اللَّهَ لاَ يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران: ٣١، ٣٢].

قال ابن القيم رحمه الله: لما كثر المدعون للمحبة طولبوا بإقامة البينة على صحة الدعوى، فالبينة على من ادعى، ولو يعطى الناس بدعواهم لادَّعى الخليُّ حرقة الشجيِّ، فتنوع المدعون في الشهود، فقيل لهم: لا تثبت هذه الدعوى إلا ببينة، ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾.

فتاخر الخلق كلهم وثبت أتباع الرسول في أفعاله وأقواله وهديه وأخلاقه.

فطولبوا بعدالة البينة، وقيل: لا تقبل العدالة إلا بتزكية، ﴿يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلاَ يَخَافُونَ لَوْمَةَ لائِمٍ﴾، فتاخر أكثر المدعين للمحبة، وقام المجاهدون.

فقيل لهم: إن نفوس المحبين ليست لهم، فسلِّموا ما وقع عليه العقد، فإن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة، وعقد البيع يوجب التسليم من الجانبين، فلما رأى التجار عظمة المشترى، وقدر الثمن وجلالة قدر من جرى عقد التبايع على يديه، ومقدار الكتاب الذي أثبت فيه هذا العقد، عرفوا أن للسلعة قدرًا وشأنًا ليس لغيرها من السلع، فرأوا من الخسران البين والغبن الفاحش أن يبيعوها بثمن بخس دراهم معدودة، تذهب لذتها وشهوتها وتبقى تبعتها وحسرتها، فإن فاعل ذلك معدود في جملة السفهاء، فعقدوا مع المشتري بيعة الرضوان رضًى واختيارًا من غير ثبوت خيار، وقالوا: والله لا نقيلك ولا نستقيلك، فلما تم العقد وسلموا المبيع قيل لهم: قد صارت أنفسكم وأموالكم لنا، والآن فقد رددناها عليكم أوفر ما كانت وأضعاف أموالكم معها: ﴿وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاء عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران: ٦٩]. اهـ.

أثر الذنوب على المحبة!!

والذنوب تنقص من محبة العبد لله تعالى بقدر حجم الذنب، ولكن الذنوب لا تزيل المحبة لله ورسوله إذا كانت ثابتة في القلب، ولم تكن الذنوب عن نفاق كما في صحيح البخاري في قصة الرجل الذي كان يشرب الخمر، وكان النبي ﷺ يقيم عليه الحد، فلما كثر ذلك منه، لعنه رجلٌ، فقال النبي ﷺ: «لا تلعنه فإنه يحب الله ورسوله».

فكما أن المحبة الواجبة تستلزم فعل الواجبات وترك المحرمات، والمحبة المستحَبة تستلزم فعل المستحبات وترك المكروهات، فالمعاصي تنقص المحبة.

تعصي الإله وأنت تزعم حبه
هذا محالٌ في القياس شنيعُ
لو كان حبك صادقًا لأطعته
إن المحب لمن أحب مطيعُ

ولهذا قال النبي ﷺ: «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن».

والمحبوبات المعظمة من دون الله عز وجل أثبت الشارع فيها اسم العبادة، كما في الحديث: «تعس عبد الدرهم، تعس عبد الدينار».

فإذا كان الإنسان مشغوفًا بمحبة بعض المخلوقات لغير الله، كان فيه من التعبد بقدر ذلك، ولهذا قد يطيع هذا المحب لغير الله محبوبه أكثر مما يطيع الله، حتى يطلب القتل في سبيله، كما يختار المؤمن القتل في سبيل الله، ولهذا قال النبي ﷺ: «مدمن الخمر كعابد وثن» صححه الألباني.

قيل لسفيان بن عيينة: إن أهل الأهواء يحبون ما ابتدعوه حبًا شديدًا، فقال: أنسيتَ قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُواْ أَشَدُّ حُبًا لِّلَّهِ﴾، ﴿وَأُشْرِبُواْ فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ﴾.

ومحبة الله توجب المجاهدة في سبيله، فإن من أحب الله وأحبه الله أحب ما يحبه الله، وأبغض ما يبغضه الله، ووالى من يواليه الله، وعادى من يعاديه الله.

وموادة أعداء الله تنافي محبة الله تعالى، قال تعالى: ﴿لاَ تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُوْلَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُوْلَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلاَ إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة: ٢٢].

فأخبر سبحانه أن المؤمن الذي تمكن حب الله وحب رسوله منه لا يكون مُوادًا محبًا لمن حاد الله ورسوله، فإن هذا جمع بين الضدين، والجمع بين الضدين محال، والله أعلم.

باب التفسير

تفسير سورة الحديد

الحلقة الرابعة

﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلاَ يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ. اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾

[الحديد: ١٦، ١٧].

بقلم الدكتور: عبد العظيم بدوي

عتاب الله للمؤمنين

يعاتب الله المؤمنين فيقول: ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ ﴾، والخشوع: هيئة في النفس يظهر منها على الجوارح سكون وتواضع. قال قتادة: الخشوع في القلب، وهو الخوف وغضّ البصر في الصلاة. وقال سهل بن عبد الله: لا يكون خاشعًا حتى تخشع كل شعرة على جسده؛ لأن الله يقول: ﴿ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ﴾ [الزمر: ٢٣]، وهذا هو الخشوع المحمود، لأن الخوف إذا سكن القلب أوجب خشوع الظاهر، فلا يملك صاحبُه دفعه، فتراه مطرقًا متأدبًا متذللاً، وقد مدح الله ﴿ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاَتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴾ [المؤمنون: ٢]، والخشوع في الصلاة إنما يحصل لمن فرّغ قلبه لها، واشتغل بها عما عداها، وآثرها على غيرها، وحينئذ تخفّ عليه، كما قال تعالى: ﴿ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلاَّ عَلَى الْخَاشِعِينَ ﴾ [البقرة: ٤٥]، وتكون راحةً له، وقرةَ عين، كما كان النبي ﷺ يقول: «أرحنا بالصلاة يا بلال». [صحيح، رواه أبو داود (٤٩٦٤/٣٣٠/١٣)].

وكان يقول: «حبّب إليّ الطيب والنساء، وجعلت قرة عيني في الصلاة». [صحيح، رواه النسائي (٧/٦١)].

وقد وعد الله الخاشعين من المؤمنين مغفرةً وأجرًا عظيمًا، فقال تعالى: ﴿ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٣٥]. وإذا علمنا هذا؛ فمعنى الآية: أما آن للمؤمنين أن تخشع قلوبهم لذكر الله، أي تلين عند الذكر والموعظة وسماع القرآن، فتفهمه وتنقاد له، وتسمع له وتطيعه، أما آن للمؤمنين أن يذروا الربا وقد سمعوا الله يقول: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُم

مُّؤْمِنِينَ. فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ اللّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [البقرة: ٢٧٨، ٢٧٩].

أما آن للمؤمنين أن يجتنبوا الخمر والميسر وقد سمعوا الله يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلاَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [المائدة: ٩٠].

أما آن للمؤمنين أن يتركوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن وقد سمعوا الله يقول: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾ [الأعراف: ٣٣].

أما آن للمؤمنين أن يتركوا الزنا وقد سمعوا الله يقول: ﴿وَلاَ تَقْرَبُواْ الزِّنَى إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاء سَبِيلاً﴾ [الإسراء: ٣٢].

أما آن للمؤمنين أن يأمروا نساءهم بالحجاب وقد سمعوا الله يقول: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاء الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ﴾ [الأحزاب: ٥٩].

أما آن للمؤمنات أن يتركن التبرج والسفور وقد سمعن الله يقول: ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾ [الأحزاب: ٣٣].

أما آن للمؤمنات أن يتركن التبرج والسفور وقد سمعن الرسول ﷺ يقول: «صنفان من أهل النار لم أرهما بعد: رجال معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس، ونساءٌ كاسياتٌ عارياتٌ، مميلاتٌ مائلاتٌ، رءوسهنّ كأسنمة البخت المائلة، لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها، وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا». [صحيح. رواه مسلم].

أما آن للمؤمنين أن يتركوا الدخول على النساء وقد سمعوا الله يقول: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾ [الأحزاب: ٥٣]. وقد سمعوا الرسول ﷺ يقول: «إياكم والدخول على النساء». فقال رجل: أفرأيت الحمو؟ فقال ﷺ: «الحمو الموت». [متفق عليه].

أما آن للمؤمنين أن يغاروا على نسائهم وقد سمعوا الرسول ﷺ يقول: «لا يدخل الجنة ديوث».

أما آن للمؤمنين أن يقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وقد سمعوا الله يقول: ﴿وَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ وَآتُواْ الزَّكَاةَ وَارْكَعُواْ مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ [البقرة: ٤٣].

أما آن للمؤمنين أن يتحاكموا إلى شرع الله وقد سمعوا الله يقول: ﴿فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥]. وقد سمعوا الرسول يقول: «وما لم تحكم أئمتهم بكتاب الله، ويتخيروا مما أنزل الله، إلا جعل الله بأسهم بينهم». [حسن، رواه ابن ماجه].

أما آن للمؤمنين أن يقيموا الدين وقد سمعوا الله يقول: ﴿شَرَعَ

لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلاَ تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ [الشورى: ١٣].

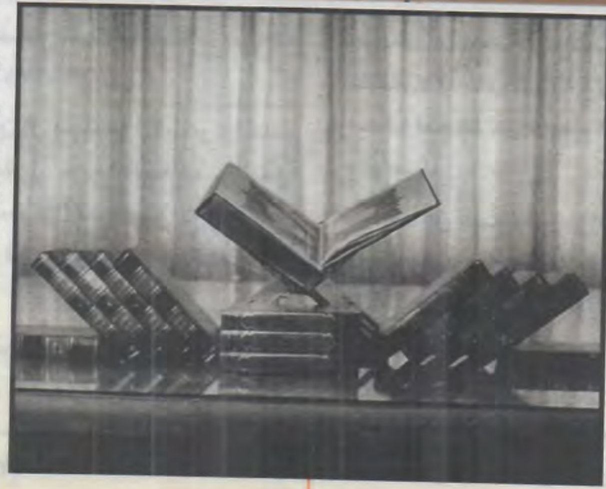

فأفيقوا- رحمكم الله- من غفلتكم، وانتبهوا من رقدتكم، فقد ﴿أَتَى أَمْرُ اللَّهِ﴾ [النحل: ١]، أفيقوا من غفلتكم، وانتبهوا من رقدتكم، فقد ﴿أَزِفَتِ الآزِفَةُ﴾ [النجم: ٥٧]، أفيقوا من غفلتكم، وانتبهوا من رقدتكم، فقد ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ﴾ [القمر: ١]، أفيقوا من غفلتكم، وانتبهوا من رقدتكم، فقد ﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ﴾ [الأنبياء: ١]، ﴿وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لاَ تُنصَرُونَ. وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ العَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لاَ تَشْعُرُونَ﴾ [الزمر: ٥٤، ٥٥].

ثم نهى الله تعالى المؤمنين عن التشبه بالكافرين، فقال: ﴿وَلاَ يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾. والمعنى: ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله، وهو القرآن الموجب للخشوع، والذي قال الله فيه: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ [الحشر: ٢١]، وألم يأن للذين آمنوا أن لا يكونوا كاليهود والنصارى الذين أوتوا الكتاب الموجب للخشوع، ﴿فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْاْ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلاً﴾ [آل عمران: ١٨٧]، ﴿فَطَالَ عَلَيْهِمُ الأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾، فلم تعد تقبل موعظة، ولا تلين بوعد ولا وعيد، ﴿وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾، وقسوة القلب عقوبة من أقسى العقوبات التي يُعاقَبُ بها العبد، وقد توعّد الله القاسية قلوبهم، وحكم عليهم بالضلال، فقال: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ فِي ضَلاَلٍ مُّبِينٍ﴾ [الزمر: ٢٢]، والقلب القاسي هو القلب الميت الذي لا حياة به، فهو لا يعرف ربه ولا يعبده، بل هو واقف مع شهواته ولذاته ولو كان فيها سخط ربه وغضبه، فهو لا يبالي- إذا فاز بشهوته وحظّه- رَضِيَ ربه أم سخط، بل هواه آثر عنده وأحبّ إليه من رضا مولاه، فالهوى إمامه، والشهوة قائده، والجهل سائقه، والغفلة مركبه، لا يستجيب لناصح، ويتبع كل شيطان مريد، فمثله ﴿كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لاَ يَسْمَعُ إِلاَّ دُعَاءً وَنِدَاءً صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ١٧١]، ﴿أُوْلَئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٤].

ولقسوة القلب أسباب: منها طول الأمل، وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿فَطَالَ عَلَيْهِمُ الأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾، وطولُ الأمل داءٌ عضال، ومرضٌ مُزْمِنٌ، متى تمكّن من القلب فسد مزاجُه، واشتدّ علاجُه، ولم يفارقه داء، ولم ينجع فيه دواء، بل أعيا الأطباءَ، ويئس من برئه الحكماءُ والعلماء.

وحقيقة الأمل: الحرصُ على الدنيا، والانكبابُ عليها وحبها، والإعراضُ عن الآخرة،

وهو يغفل عن العمل، ويورث التراخي والتواني، ويعقب التشاغل والتقاعس، ويخلد إلى الأرض، ويميل إلى الهوى، كما أنّ قصر الأمل يبعث على العمل، ويحيل إلى المبادرة، ويحث على المسابقة، وقد توعد الله أهل الأمل فقال: ﴿ذَرْهُمْ يَأْكُلُواْ وَيَتَمَتَّعُواْ وَيُلْهِهِمُ الأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ [الحجر: ٣].

فيا أخا الإسلام: إياك وطول الأمل، فإنه يُقعد عن خير العمل، «إذا أصبحت فلا تنتظر المساء، وإذا أمسيت فلا تنتظر الصباح». [رواه البخاري].

تزوّد من التقوى فإنك لا تدري
إذا جنّ ليل هل تعيش إلى الفجر
فكم من فتًى أمسى وأصبح ضاحكًا
وقد نُسِجَتْ أكفانُه وهو لا يدري
وكم من صغارٍ يُرتجى طولُ عمرهم
وقد أُدخلت أجسادهم ظلمة القبر
وكم من عروسٍ زينوها لزوجها
وقد قُبضت أرواحُهم ليلةَ القدر
وكم من صحيح مات من غير علةٍ
وكم من عليلٍ عاش حينًا من الدهر

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ. وَلاَ تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [الحشر: ١٨، ١٩].

ومن أسباب قسوة القلب نقض الميثاق، كما قال تعالى عن بني إسرائيل: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً﴾ [المائدة: ١٢]، يعني: فبسبب نقضهم الميثاق الذي أُخذ عليهم لعنّاهم أي أبعدناهم عن الحق وطردناهم عن الهدى، ﴿وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً﴾ أي: فلا يتعظون بموعظة لغلظ قلوبهم وقسوتها، والميثاق الذي نقضوه قد بيّنه ربّ العزة، فقال: ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلاَةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنتُم بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ...﴾ الآية [المائدة: ١٢].

والمتأمل في حال المسلمين اليوم يجد أنهم قد نقضوا الميثاق كما نقضه بنو إسرائيل، فقد ترك أكثرهم الصلاة، ومنعوا الزكاة، فقست قلوبهم، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

فيا معشر المسلمين، أوفوا بعهد الله ولا تنقضوا الميثاق، و﴿اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾، وكذلك يُلين القلوب بعد قسوتها، ويهدي الحيارى بعد ضلالتها، ويفرّج الكروب بعد شدتها؛ لأنه على كل شيء قدير، ﴿قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الآيَاتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [آل عمران: ١١٨]، فلا تقنطوا من رحمة الله، ﴿وَلاَ تَيْأَسُواْ مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لاَ يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ [يوسف: ٨٧].

الرضاع

بقلم الرئيس العام

أخرج البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها: أنها سمعت صوت رجل يستأذن في بيت حفصة، قالت: فقلت: يا رسول الله، هذا رجل يستأذن في بيتك، فقال النبي ﷺ: «أراه فلانًا» لعم حفصة من الرضاعة، قالت عائشة: لو كان فلان حيًا - لعمها من الرضاعة - دخل عليَّ؟ فقال: «نعم، الرضاعة تحرم ما تحرم الولادة».

وأخرج البخاري ومسلم أن عائشة رضي الله عنها قالت: استأذن عليَّ أفلح أخو أبي القعيس بعدما أنزل الحجاب، فقلت: لا آذن له حتى أستأذن فيه النبي ﷺ، فإن أخاه أبا القعيس ليس هو أرضعني، ولكن أرضعتني امرأة أبي القعيس، فدخل على النبي ﷺ، فقلت له: يا رسول الله، إن أفلح أخا أبي القعيس استأذن فأبيت أن آذن له حتى استأذنك، فقال النبي ﷺ: «وما منعك أن تأذني له؟ عمك!». قلت: يا رسول الله، إن الرجل ليس هو أرضعني، ولكن أرضعتني امرأة أبي القعيس، فقال: «ائذني له فإنه عمك، تربت يمينك».

حد الرضاع

الرضاع وصول لبن الآدمية إلى جوف طفل دون الحولين بمص أو شرب أو سعوط(١).

والرضاع واجب للطفل في سن الرضاع ما دام الطفل في حاجة إليه، وهو واجب على الأب، فإن قامت به الأم أو غيرها وجبت النفقة على الأب لمن أرضعت له ولده، فإن رغبت الأم في إرضاع ولدها وجبت لها؛ لقوله تعالى: ﴿لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا﴾ [البقرة: ٢٣٣].

المرضع: من لها ولد ترضعه.

المرضعة: اسم يُطلق على المرأة حال التقام الطفل لثديها.

حد الرضعة: يطلق اسم الرضعة (اسم مرة) على ما إذا التقم الطفل الثدي فامتص منه ثم تركه باختياره بغير عارض، سواء شبع أو لم يشبع، فإن أخذه وتركه مرة أخرى فهذه تحسب رضعة جديدة.

قال الشوكاني: الرضعة هي المرة من الرضاع كضربة وجلسة وأكلة، فمتى التقم الصبي الثدي فامتص منه ثم تركه باختياره لغير عارض، كان ذلك رضعة.

والرضاع الذي تثبت به المحرمية هو الرضاع من لبن امرأة، فلو رضع من لبن بهيمة طفلان لم يصيرا أخوين من الرضاع، وتنتشر الحرمة بلبن المرأة الكافرة كالمسلمة، فلو أرضعت ذمية أو مشركة صارت أمًا من الرضاع وأبناؤها إخوة، وإخوتها أخوالاً، وخالات من الرضاع، وإن كره العلماء لبن الكافرات والفاجرات؛ لأنه ربما أفضى إلى وجود الشبه، بل وكرهوا لبن الحمقاء.

دليل مشروعية الرضاع

والأدلة على مشروعية

الرضاعة قوله تعالى: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ وَعلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لاَ تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلاَّ وُسْعَهَا لاَ تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلاَ مَوْلُودٌ لَّهُ بِوَلَدِهِ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالاً عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُواْ أَوْلاَدَكُمْ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُم مَّا آتَيْتُم بِالْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة: ٢٣٣]، وقوله تعالى: ﴿فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَأْتَمِرُوا بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ وَإِن تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُ أُخْرَى﴾ [الطلاق: ٦].

المحرمات من النساء

وقد جاءت آية سورة «النساء» جامعة للمحرمات من النساء في قوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالاَتُكُمْ وَبَنَاتُ الأَخِ وَبَنَاتُ الأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللاَّتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُم مِّنَ الرَّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَآئِكُمْ وَرَبَائِبُكُمُ اللاَّتِي فِي حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ اللاَّتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُواْ دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلاَئِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلاَبِكُمْ وَأَن تَجْمَعُواْ بَيْنَ الأُخْتَيْنِ إِلاَّ مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ٢٣].

فأسباب التحريم في الزواج ثلاثة: الولادة، والمصاهرة، والرضاع، وقد يطلق على الولادة اسم النسب، ويحرم من كل سبب سبعة أنواع من النسوة، وفي البخاري عن ابن عباس: حرم من النسب سبع، ومن الصهر سبع، ثم قرأ: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ...﴾ الآية، وقد ذكرت الآية الكريمة محرمات النسب كاملاً، وذكرت من المحرمات من الرضاعة: الأمهات والأخوات، وذكرت من المحرمات من المصاهرة: أمهات النساء، والربائب، وحلائل الأبناء، والجمع بين الأختين، وجاءت السنة لتبين بقية المحرمات من المصاهرة وهن أزواج الآباء والجمع بين البنت وعمتها وبين البنت وخالتها، أمَّا الرضاع فحديث عائشة وابن عباس (يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب)، فبذلك يحرم على الرجل أن يتزوج أمه من الرضاع وإن علت، وبنته من الرضاع وإن نزلت، وأخواته من الرضاع وبنات أخواته من الرضاع وبنات إخوانه من الرضاع وعمته من الرضاع وخالته من الرضاع، ذلك إذا وقع الرضاع المعتبر شرعًا في المدة المعتبرة، فيحرم من الرضاع ما يحرم من النسب.

تنبيه: إن إخوة الرضاع إما أن يكونوا أبناء ولادة للمرأة التي أرضعت، أو أبناء رضاع لها، وإما أن يكونوا أبناء ولادة للرجل صاحب اللبن أو أبناء رضاع من لبنه، وإما أن يكونوا من نفس المرأة أو من غيرها، وإما أن يكون الرضاع في نفس الزمان أو قبله أو بعده، فتدبر. واللبن له ثلاثة أطراف يكون بسببها التحريم: الرجل صاحب اللبن، والمرأة المرضعة مصدر اللبن، والولد الذي ولد بينهما- فكل من رضع من امرأة فهي أمه من الرضاع وهو أخ لأبنائها من الرضاع، سواء كانوا من أب واحد، أو أبناء من آباء متعددين- وزوج هذه المرأة صاحب النطفة أبوه من الرضاع، وكل أبنائه من هذه المرأة أو من غيرها إخوة له من الرضاع، فإذا تعدد الراضعون من المرأة من غير أولادها فكلهم إخوة من الرضاع، وإن تعددَ الراضعون من لبن لرجل واحد فهو أبوهم، وهم إخوة من الرضاع، والخالة من الرضاع أخت الأم التي أرضعت، والعمة من الرضاع أخت الرجل صاحب اللبن.

الرضاع المحرم

تثبت الحرمة بالرضاع بشروط:

أولها: أن يبلغ عدد الرضعات خمس رضعات؛ لحديث مسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت: «كان فيما أنزل من القرآن عشر رضعات معلومات يحرمن، ثم نسخن بخمس معلومات، فتوفي النبي ﷺ وهن فيما يقرأ من القرآن». أي أن رسول الله ﷺ مات وبعض الناس يقرأ خمس رضعات ويجعلها قرآنًا متلوًا، لأنه لم يبلغه نسخ لفظها من القرآن؛ لقرب عهده بوفاة النبي ﷺ. (مسلم كتاب الرضاع: ١٤٥٢).

ومن حديث عائشة قالت: «لا يحرم دون خمس رضعات معلومات».

قوله: «معلومات» فيه إشارة إلى أنه لا يثبت حكم الرضاع إلا بعد العلم بعدد الرضعات، وأنه لا يكفي الظن، بل يرجع مع الشك إلى الأصل وهو العدم.

ولا معارض هنا في وجوب العمل بقول المرضعة؛ حصل الظن بقولها أم لم يحصل؛ لأن الفرق في الحالتين هو أن المرأة المرضعة التي تزعم أنها أرضعت زوجين مثلاً إنما تقصد الرضاعة المحرمة، وذلك الذي حدث مع عقبة بن الحارث وزوجته، فقال له النبي ﷺ: «كيف وقد زعمت أنها أرضعتكما؟!» ونهاه عنها.

أما الحالة الأولى فهي كما لو قالت امرأة لأحد: أنا أرضعتك لكن لا أدري مرة أو مرتين أو خمسًا،

فهنا يرجع معه إلى الأصل وهو العدم.

وحديث سالم في رواية الموطا وأحمد أن رسول الله ﷺ أمر سهلة بنت سهيل أن ترضع سالمًا مولى أبي حذيفة خمس رضعات.

قال شيخ الإسلام: فإذا ارتضع الطفل من امرأة خمس رضعات في الحولين قبل الفطام صار ولدها باتفاق الأئمة وصار الرجل الذي در اللبن بوطئه أبًا لهذا المرتضع باتفاق الأئمة المشهورين، وإذا صار الرجل والمرأة والدي المرتضع صار كل أولادهما إخوة المرتضع، سواء كانوا من الأب فقط أو من المرأة أو منهما أو كانوا أولادًا لهما من الرضاعة، فإنهم يصيرون إخوة لهذا المرتضع من الرضاعة حتى لو كان لرجل امرأتان فأرضعت هذه طفلاً لغيرها وهذه طفلة لغيرها كانا أخوين، ولم يجز لأحدهما التزوج بالآخر باتفاق الأئمة الأربعة وجمهور علماء المسلمين، ولا فرق بين أولاد المرأة الذين رضعوا مع الطفل وبين من هم أولادها قبل الرضاعة وبعد الرضاعة باتفاق المسلمين. (انتهى).

ثانيـا : أن يكون في الحولين؛ لقوله تعالى: ﴿ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ ﴾ [البقرة: ٢٣٣]، ولقوله تعالى: ﴿ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ ﴾ [لقمان: ١٤]، ولحديث البخاري ومسلم عن عائشة أن رسول الله ﷺ قال: «انظرن من إخوانكن، فإنما الرضاعة من المجاعة»، ولحديث الترمذي (١١٥٢) عن أم سلمة قالت: قال رسول الله ﷺ: «لا يحرم من الرضاع إلا ما فتق الأمعاء في الثدي وكان قبل الفطام». ومن حديث ابن عباس مرفوعًا: «لا يحرم من الرضاع إلا ما كان في الحولين، وما كان بعد الحولين فليس بشيء». رواه مالك في «الموطا» (٢/٦٠٢).

قال ابن كثير: والعمل على هذا عند أكثر أهل العلم من أصحاب رسول الله ﷺ وغيرهم، ان الرضاعة لا تحرم إلا ما كان دون الحولين، وما كان بعد الحولين الكاملين فإنه لا يحرم شيئًا.

تنبيـه : حديثا عائشة رضي الله عنها في عميها من الرضاع؛ الأول الذي قالت عنه: «لو كان فلان حيًا دخل عليَّ»، وهذا أخ لأبي بكر من الرضاع أي رضع هو وأبو بكر من لبن واحد، والعم الثاني هو أفلح وعمومته من جهة أنه أخ لأبي القعيس صاحب اللبن الذي رضعته عائشة رضي الله تعالى عنها. فتنبه.

أثر الرضاع

قال ابن حجر في قوله ﷺ: «الرضاعة تحرم ما تحرم الولادة»: أي: وتبيح ما تبيح، وهو بالإجماع فيما يتعلق بتحريم النكاح وتوابعه وانتشار الحرمة بين الرضيع وأولاد المرضعة وتنزيلهم منزلة الأقارب(٢) في جواز النظر(٣) والخلوة والمسافرة، ولكن لا يترتب عليه باقي أحكام الأمومة من التوارث ووجوب الانفاق والعتق بالملك والشهادة والعقل وإسقاط القصاص.

قال القرطبي: في الحديث دلالة على أن الرضاع ينشر الحرمة بين الرضيع والمرضعة وزوجها؛ يعني الذي وقع الإرضاع بين ولده منها أو السيد، فتحرم على الصبي؛ لأنها تصير أمه، وأمها؛ لأنها جدته فصاعدًا وأختها؛ لأنها خالته، وبنتها لأنها أخته، وبنت صاحب اللبن لأنها أخته، وبنت بنتها لأنها بنت أخته، وأمه فصاعدًا لأنها جدته، وأخته لأنها عمته، ولا يتعدى التحريم إلى أحد من قرابة الرضيع، فليست اخته من الرضاعة أختًا لأخيه ولا بنتًا لأبيه؛ إذ لا رضاع بينهم، والحكمة في ذلك أن سبب التحريم ما ينفصل من أجزاء المرأة وزوجها وهو اللبن، فإذا اغتذى به الرضيع صار جزءًا من أجزائها فانتشر التحريم بينهم، بخلاف قرابات الرضيع لأنه ليس بينهم وبين المرضعة ولا زوجها نسب ولا سبب.

اللبن للفحل

خلق الله بنطفة الرجل في رحم المرأة طفلاً، هذا الطفل ولد لصاحب النطفة؛ لقوله تعالى: ﴿ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ ﴾، وخلق سبحانه بهذه النطفة أيضًا في ثدي المرأة- بعد وضع الحمل- لبنًا هو أيضًا لصاحب النطفة؛ لذا أطلق عليه الفقهاء صاحب اللبن، وقالوا: اللبن للفحل بمعنى أن الحرمة تنتشر من جهة الرجل (الأب) صاحب اللبن، كما تنتشر من جهة المرأة (الأم) مصدر اللبن، فكما يكون اخوها خالاً وأختها خالة وأبناؤها من نفس الرجل أو من غيره إخوة رضاع أشقاء أو إخوة لأم، فكذلك أخو صاحب اللبن عم من الرضاع، وأخته عمة من الرضاع، وأبناؤه من غير المرأة التي أرضعت إخوة لأب من الرضاع.

وتثبت الأبوة باللبن، ولو كان الرضاع بعد الطلاق أو بعد الموت فإن أرضعت المطلقة أو الأرملة طفلاً قبل أن تتزوج في العدة أو بعد انتهاء العدة، وكذلك لو تزوجت باخر ولم تلد للآخر فاللبن للأول

قصرت المدة أم طالت، حتى لو انقطع اللبن ثم أرضعت طفلاً فَدَرٌّ له لبن فهو لبن لآخر طفل ولدته، فأبوه صاحب اللبن وهو أب لكل من رضع منه وأخوه عم، وأخته عمة، وأبناؤه إخوة رضاع.

يقول ابن القيم: المرضعة والزوج صاحب اللبن قد صارا أبوين للطفل، وصار الطفل ولدًا لهما، فانتشرت الحرمة من هذه الجهات الثلاث، فأولاد الطفل وإن نزلوا أولاد ولدهما، وأولاد كل من المرضعة والزوج من الآخر ومن غيره إخوته وأخواته من الجهات الثلاث، فأولاد أحدهما من الآخر إخوته وأخواته لأبيه وأمه (أشقاء)، وأولاد الزوج من غيرها إخوته وأخواته من أبيه وأولاد المرضعة من غيره إخوته وأخواته لأمه، وصار آباؤها أجداده وجداته، وصار إخوة المرأة وأخواتها أخواله وخالاته، وإخوة صاحب اللبن وأخواته أعمامه وعماته، فحرمة الرضاع تنتشر من هذه الجهات الثلاث فقط، ولا يتعدى التحريم إلى غير المرتضع ممن هو في درجته من إخوته وأخواته، فيباح لأخيه نكاح من أرضعت أخاه وبناتها وأمهاتها، ويباح لأخته نكاح صاحب اللبن وأبيه وبنيه، وكذلك لا ينتشر إلى من فوقه من آبائه وأمهاته ومن في درجته من أعمامه وعماته وأخواله وخالاته، فلأبي المرتضع من النسب وأجداده أن ينكحوا أم الطفل من الرضاع وأمهاتها وأخواتها وبناتها، وأن ينكحوا أمهات صاحب اللبن وأخواته وبناته؛ إذ نظير هذا في النسب حلال، فللأخ من الأب أن يتزوج أخت أخيه من الأم، وللأخ من الأم أن ينكح أخت أخيه من الأب، وكذلك ينكح الرجل أم ابنه من النسب وأختها، وأما أمها وبنتها فإنما حرمتا بالمصاهرة.

رضاع الكبير

وعدَّد الشوكاني الأقوال في المدة التي يقتضي الرضاع فيها التحريم، حتى قال: القول التاسع: أن الرضاع يعتبر فيه الصغر، إلا فيما دعت إليه الحاجة كرضاع الكبير الذي لا يستغني عن دخوله على المرأة ويشق احتجابها منه، وإليه ذهب شيخ الإسلام ابن تيمية، وهو الراجح عندي وبه يحصل الجمع بين الأحاديث، وذلك بأن تجعل قصة سالم المذكورة مخصصة لعموم «إنما الرضاع من المجاعة»، «ولا رضاع إلا في الحولين»، «ولا رضاع إلا ما فتق الأمعاء وكان قبل الفطام».

«ولا رضاع إلا ما أنشز العظم وأنبت اللحم».

وهذه طريقة متوسطة بين طريقة من استدل بهذه الأحاديث على أنه لا حكم لرضاع الكبير مطلقًا وبين من جعل رضاع الكبير كرضاع الصغير مطلقًا. لما لا يخلو عن كل واحدة من هاتين الطريقتين من التعسف، ويؤيد هذا أن سؤال سهلة امرأة أبي حذيفة كان بعد نزول الحجاب. (انتهى) من «نيل الأوطار».

الشهادة على الرضاع

قال الشوكاني: فالحق وجوب العمل بقول المرأة المرضعة حرة كانت أو أَمة، حصل الظن بقولها أم لم يحصل؛ لما ثبت في رواية أن السائل قال: وأظنها كاذبة، فيكون هذا الحديث الصحيح دليلاً، والحديث أخرجه البخاري وأحمد عن عقبة بن الحارث، أنه تزوج أم يحيى بنت أبي إهاب، فجاءت أَمةٌ سوداء، فقالت: قد أرضعتكما، قال: فذكرت ذلك للنبي ﷺ، فأعرض عني، قال: فتنحيت، فذكرت ذلك له، فقال: «وكيف وقد زعمت أنها قد أرضعتكما»، فنهاه عنها.

فائدة:

قال تعالى: ﴿وَإِن تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُ أُخْرَى﴾ [الطلاق: ٦]، وقال سبحانه: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلاَدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ وَعلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لاَ تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلاَّ وُسْعَهَا لاَ تُضَآرَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلاَ مَوْلُودٌ لَّهُ بِوَلَدِهِ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالاً عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُواْ أَوْلاَدَكُمْ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُم مَّا آتَيْتُم بِالْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة: ٢٣٣].

في هذه الآية دليل على أن الأم أحق بإرضاع ولدها، وإن كانت مطلقة، فلا تحرم منه، وفي الآية دليل على أن مناسبة لبن الأم لطفلها يفوق غيره، وأنه يجوز الانتقال إلى لبن امرأة أخرى غيرها، وفي الآية إشارة إلى:

أ- لوم الأم عند ترك رضاع ولدها.

ب- أن لبن الحيوان لا يغني عن لبن الآدمية، وبه تتحقق التغذية وتتحقق مسائل أخرى منها القرابة والمحرمية. والله أعلم.

الهوامش:

(١) السعوط: الصب في الأنف.

(٢) أي: أخته لأبيه من الرضاع.

(٣) أم صاحب اللبن الذي هو أب الرضاع تكون جدة لمن رضع.

كلمة التحرير

بقلم: رئيس التحرير

وما تخفي صدورهم أكبر!

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين.

وبعد أيها القارئ الكريم. فما أشبه الليلة بالبارحة... أعداء الإسلام يكيلون الضربات ويدبرون المؤامرات... ويرسمون الخطط، ويجهزون العدة والعتاد... انهم أعداء الإسلام. بالأمس كانوا يمكرون ! واليوم صاروا أشد مكراً ودهاءً ولايزالون يمكرون ويكيدون ويمتد كيدهم ! قد بدت البغضاء من أفواههم، وما تخفي صدورهم أكبر!!

العالم كله بقيادة المرتعدة أمريكا.. وبتخطيط يهودي يعلن قائد مسيرتهم الذي يكشر عن أنيابه.. ويعلنها بلا تحفظ حرباً صليبية على الإسلام والمسلمين... «لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا». المائدة ٨٢.

«الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة».. الأنفال٣٦.

اليوم فى أفغانستان جهزوا العدد.. ورسموا الخطط الخبيثة الماكرة .. واستجلبوا التحالفات يريدون أن يجيشوا العالم كله.. حلف الأطلنطى.. والـلا أطلنطي لكى يحموا سماء أمريكا المسكينة لأنها قد تركت سماءها مفتوحة واتجهت صوب عالم آخر من الفضاء الخارجي .. تدك البشر والجبال وتقضي على الأخضر واليابس وتصريحات نارية من القادة بأن الحرب قد تستمر اسبوعاً وقد تستمر عاماً، وقد تستمر أعواماً وقد تنتقل العمليات العسكرية إلى دول أخري والله أكبر مما يكيدون ويدبرون للإسلام والمسلمين ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم... هم يريدون الإسلام... الكل يهرول « قد بدت البغضاء من أفواههم، وما تخفى صدورهم أكبر» آل عمران ١١٨- إجتمعوا فى صعيد واحد وأعينهم على الإسلام... وغدا يتوجهون إلى صعيد آخر مجيشين جيوشهم... مصوبين أسلحتهم الفتاكة تجاه

كل ماهو مسلم!! متناسين اليهود... ومتناسين عن عمد وخبث؛ اليمين الأمريكى المتطرف وقبل أن يفتح ملف التحقيقات كانت التهمة قد تم تدبيرها على الفور، وتوجيهها صوب المسلمين، ويعلن برلسكونى الأحمق هجومه على الإسلام وحضارته متناسياً.. بل ربما جاهلا أن الحضارة الغربية المزعومة قد نشأت وترعرعت وإزدهرت بعد دخول الإسلام الى الأندلس، وصقلية، وجنوب إيطاليا، ولكن وعد الله آت لا محالة «وإن تصبروا وتتقوا لايضركم كيدهم شيئا إن الله بما يعملون محيط» آل عمران ١٢.

عاد الثانية والحقيقة الغائبة!!

فالحق له هيبته، وقوائم الركاب للطائرات المختطفة فى أمريكا، كما صدرت عن الكمبيوتر وكلها لأجانب... لا نعرف من أين ظهرت الأسماء العربية فجأة. إلا أن يكون قد تم دسها بعد ذلك وكانت قوائم الركاب خالية من أي اسم عربى.

إن الكبرياء والعظمة هى قرائن الجبروت والقسوة وهي التي تملأ العقل بأوهام القوة. والغرور بامتلاك الأسباب، وكمال العلم، ووفرة الثراء هى التي تنفخ في النفس هذه النفخة الشيطانية فيقول الواحد منهم كما قالت عاد... «من أشد منا قوة»؟!!

يقول تعالى «و فى عادٍ اذ أرسلنا عليهم الريح العقيم.. ماتذر من شىء أتت عليه إلا جعلته كالرميم» وفى سورة القمر «كذبت عاد فكيف كان عذابى ونذر. إنا أرسلنا عليهم ريحاً صرصراً، في يوم نحس مستمر، تنزع الناس كأنهم أعجاز نخل منقعر.. فكيف كان عذابي ونذر» القمر.

وفي سورة الحاقة «وأما عاد فاهلكوا بريح صرصر عاتية سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما: فترى القوم فيها صرعى كأنهم أعجاز نخل خاوية فهل ترى لهم من باقية» الحاقة.

وفى سورة الفجر «ألم تر كيف فعل ربك بعاد إرم ذات العماد التى لم يخلق مثلها فى البلاد».

وقال تعالى : «فاكثروا فيها الفساد فصب عليهم ربك سوط عذاب إن ربك لبالمرصاد» الفجر.

لقد نسي هؤلاء الأشرار أن الله تعالي الذي خلقهم هو أشد منهم قوة ؛ وأنه لم يخلق الخلق سدى ولن يتركهم سدى وسيدفع الظالمين بغيرهم من العالمين " ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ..." البقرة

وسينزل عليهم زجره وعذابه وبأسه الذي لا يرد عن

العالم كله بقيادة أمريكا المرتعدة وبتخطيط يهودي يعلن قائد مسيرتهم مكشراً عن أنيابه حرباً صليبية على الإسلام والمسلمين !!

القوم المجرمين .

تلك الأمة هي "عاد" الذين أرسل الله إليهم نبيهم هودا " وإلى عاد أخاهم هودا " فكذبوه وعصوه وتكبروا واغتروا بآلهتهم وجحدوا بآيات ربهم وأن الله تعالى الذي خلقهم هو أشد منهم قوة، وعموا وصموا فأهلكهم الله وأنزل عليهم العذاب والدمار وأحلهم دار البوار وأورثهم الخزي في الحياة الدنيا ، ثم هم على موعد يوم القيامة مع العذاب الأكبر والأخزي وهم لا ينصرون.

الظلم والهيمنة والتكبر !!

ويصور لنا القرآن العظيم هذه المأساة بدقة متناهية وروعة في البيان ؛ مبينا مصير العنجهية والغرور ،والظلم والهيمنة ، والتكبر في الأرض بغير الحق ، واستضعاف العباد والخلق .

يقول عز من قائل : "وأما عاد فاستكبروا في الأرض بغير الحق وقالوا من أشد منا قوة أولم يروا أن الله الذي خلقهم هو أشد منهم قوة وكانوا بآياتنا يجحدون فأرسلنا عليهم ريحا صرصرا في أيام نحسات لنذيقهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة أخزى وهم لا ينصرون" «فصلت».

أرسل الله عز وجل عليهم الريح ، التي أرسلها بعدهم أيضا على الأحزاب أيام نبينا صلى الله عليه وسلم لتفرق تلك الريح التحالف الدولي ضد دولة الإسلام وتفكك الأحزاب المتآمرين من الكفار واليهود وسائر الكارهين لهذ الدين الحنيف . وما هي من الظالمين ببعيد.

فالريح جند من جنود الله لو سلطها على أعتى الأمم وأقواها لجعلها خرابا بلقعا ، فدمرت كل شيء بأمر ربها ، وما يعلم جنود ربك إلا هو .

هذا كان أحد الأنظمة العالمية القديمة التي بطرت معيشتها فأهلكها الله " فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم إلا قليلا وكنا نحن الوارثين .

محاكمة الإسلام فى محكمة تجهل مبادئه العادلة!!

ومن خلال صفحات مجلة التوحيد فإننا ندعو علماء الأمة ودعاتها وأساتذة الجامعات والأكاديميين المسلمين للتنسيق والتعاون فى وضع خطة جديدة للعمل الاسلامى ومؤسسات الدعوة، تعالج مستجدات الساحة الدولية التي

تظهر الأحداث والتطورات الأخيرة الأهداف الشريرة للغرب وحملتهم المسعورة على الإسلام والمسلمين ومحاكمتهم للإسلام فى محكمة ظالمة !!

تشهد تصاعداً فى الهجوم على الاسلام والنيل منه، ومحاكمته فى محكمة ظالمة تجهل مبادئه، إلى جانب محاولات شق الصف المسلم، وإرهاب كل من ينتمى اليه، وتأجيج الصراع بين الحضارات، من خلال تحريض الشعوب البشرية على الإسلام!! وتوضيح صورة الإسلام الصحيحة النقية حتى يتعرف العالم على إسلامنا الحنيف!!

أهداف الحملة الشرسة على الاسلام!!

تظهر الاحداث والتطورات الأخيرة الأهداف الشريرة للغرب وحملتهم المسعورة على الاسلام والمسلمين وأنه يراد محاكمة الإسلام في محكمة ظالمة، تجهل مبادئه العادلة وتسامحه وخيريته ورحمته بالناس جميعاً «وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين». ولا يخفى علي كل ذى بصيرة أن كلاب اليهود المسعورة تسعر تلك الحملات، وتؤججها من خلال إمبراطوريات الإعلام الصهيونى المعروفة منطلقة فى ذلك من عدائها الخبيث والمتأصل للإسلام والمسلمين علي مر العصور «لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا».

وبالأمس القريب رفع أحد خنازير اليهود حاخامهم (........) عقيرته مطالبا بإخفاء العرب عن وجه الأرض وهم قلب الإسلام النابض، مطالبا بإبادتهم إبادة جماعية بالصواريخ ولم يستح هذا الخنزير من النيل من الله سبحانه وتعالى وكشف إلحاده وكفره عندما قال: إن الله ندم بعد أن خلق العرب..!! «تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً» «كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذباً». ويظل وصف هذا الحاخام للعرب والمسلمين بأنهم أفاعي وثعابين ضارة ينبغى التخلص منها!!

نسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يفرق شملهم ويشتت جمعهم ،وأن يأخذهم أخذ عزيز مقتدر إنه نعم ذلك والقادر عليه وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين..،

لا يخفى على كل ذى بصيرة أن كلاب اليهود المسعورة تؤجج الحملات على المسلمين وذلك نابع من عدائها الخبيث والمتأصل للإسلام !!

إن بعض الظن إثم

شعر:

حسن أبو الغيط

ضربوك «أمريكا» ولا تدرين من
ضربوا ولا من ذا الذي لا يؤتمنْ
تتخبطين الآن في كم عثرةٍ
كالطائر المذبوح يا مأوى الفتن
هلا نظرت لغيرنا في هذه؟
هلا اتهمت الخائنين على الزمن؟
إن اليهود على الزمان تمردُ
ولهم أمورٌ من سواهم لم تكنْ
لم يحضروا يوم القضا كحضورهم
وكأنهم يدرون دون بني الوطن
غابوا عن الأحداث قبل حدوثها
من ذا الذي في الناس يدري الغيب من؟
لم لا يكونون الجناة؟ تأمّلي
إن التأمل كم يفيد ذوي المحنْ
عيناك دومًا بارتياب نحونا
كوني كذلك نحوهم ظنًا كظن
والظن ظلمٌ بعضه فتفكري
يا من لهذا الظن فينا تطمئن
بل «إن بعض الظن إثم» فاحذري
يا من تقاد بذي الظنون وقد تجنْ

الرؤيا بين الحقيقة والخيال

بقلم د. محمد الشويعر

ذكر الله سبحانه الأحلام أو الرؤيا في قصة يوسف عليه السلام، وفي سورة يوسف. وقد علّم الله يوسف تعبير الرؤيا، فوقع تعبيره عليه السلام كما قال؛ لأنه علْم عَلّمه الله إيّاه، ولكن الناس يختلفون في أحلامهم عندما ينامون، وفيما يتراءى لهم، بل وفيما كانوا يحدّثون أنفسهم به قبل أن يناموا.

كما يختلف المعبرون للرؤيا، في ذكائهم وفطنتهم، وفي موازنتهم الأمور وتعليلها، وفوق هذا وذاك في علمهم ودينهم، وورعهم عندما يعبرون الأحلام.

فالرؤيا الصالحة هي الرؤيا التي تعبر عن الحقيقة، وهي التي أوضحها رسول الله * في حديث رواه البخاري عن أبي هريرة رضي اللّه عنه قال: سمعت رسول الله * يقول: «لم يبق من النبوة إلا المبشرات». قالوا: وما المبشرات يا رسول الله؟ قال: «الرؤيا الصالحة».

وجاء في حديث اتفق عليه البخاري ومسلم رحمهما الله عن أبي هريرة رضي اللّه عنه، أن النبي ﷺ قال: «إذا اقترب الزمان- أي اقترب انتهاء أمر الحياة الدنيا- لم تكدْ رؤيا المؤمن تكذب، ورؤيا المؤمن جزءٌ من ستة وأربعين جزءًا من النبوة»، وفي رواية: «أصدقكم رؤيا أصدقكم حديثًا».

ومن الرؤيا الصادقة، الرؤيا الحقيقية، التي ليس للشيطان فيها مدخل، بل إنه يعجز عن الدخول في هذا السبيل؛ رؤيا نبي الله، لأن الله حال بينه وبين أن يتقمص شخصية رسول الله ﷺ، فقد اتفق الشيخان على ما حدّث به أبو هريرة رضي اللّهُ عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من رآني في المنام، فسيراني في اليقظة- أو كأنما رآني في اليقظة- لا يتمثل الشيطان بي».

والرؤيا الحقيقية هي الرؤيا الصادقة، والتي يرى بعض المختصين، أن لها شروطًا تميزها عن غيرها، منها: أن يكون الرائي قد ذكر الله عند نومه، وقرأ وِردَهُ، وأن يكون نام على طهارة؛ لأن الشيطان لا يقترب ممّن ذكر الله وقرأ ورده، ونام على طهارة، أما الملائكة فإنهم ينفرون ممن تعرى، أو عليه جنابة، فكان الأفضل للمسلم إذا لامس أهله، أن يغتسل قبل نومه، أو يتوضا.

وألا يكون نام وبه تخمة، أو على شبع، أو جوع شديد، وبعضهم يرى أن الجوّ المعتدل عن الحرارة من الأوقات المناسبة واعتدال المزاج، وعدم وجود مرض بالإنسان، وخاصة الحميات التي تسبب الهذيان.

وبعكسها الرؤيا الخيالية، أو الكاذبة، التي

تحصل في الغالب من مؤثرات نفسية وتخيلات، وأفكار قبل النوم كانت تشغل بال الإنسان، فتتراءى أمامه في منامه، ويسميها علماء النفس: أحلام اليقظة، أو خواطر النفس وخيالاتها، وفي هذه الحالة يأتي دور الإنسان مع الشيطان، الذي يحاول اغتنام نقاط ضعف فيه، ليدخل عليه من هذا المدخل، فيتلاعب به، إذا أحسّ بمجال يعينه على إشغاله، وبلبلة فكره.

والشيطان عندما يريد الدخول على الإنسان في منامه، فإنه يثير الأشياء المخيفة؛ كأن يكون الإنسان وقع في بئر، أو من مكان شاهق: أو مبنى كبير، أو جبل، أو مصيبة حلّت به، أو بمن هو عزيز لديه... إلى غير ذلك مما يراه الإنسان في منامه من الأحلام المفزعة.

فقد أخبر النبي ﷺ أن الرؤيا التي يرتاح إليها الإنسان وتفرحه هي من الله، أما نقيضها مما يكره أو مما تنقبض منه أسارير الإنسان وتترك أثرًا مؤلمًا في قرارة القلب، فإنها من الشيطان.

وقد جعل رسول الله ﷺ لأمته علاجًا ناجحًا، وسببًا معينًا على تحصيل آثار الرؤيا الحسنة بما يريح النفس، ويطمئن القلب، ويحمد الله على ذلك، وتخطي آثار الرؤيا السيئة، بما يعالج أثرها، ويسد المنافذ على عدو الله؛ الشيطان، ويقضي على تسلطه على الإنسان ووسوسته، فينخنس بقوة الرادع العلاجيّ الذي خرج من صيدلية الإسلام، وعلّمه رسول الله ﷺ لأمته.

وهذا العلاج يوضّحه حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «إذا رأى أحدكم رؤيا يحبها، فإنما هي من الله تعالى، فليحمد الله عليها وليحدث بها- وفي رواية: فلا يحدّث بها إلا من يحب- وإذا رأى غير ذلك، مما يكره فإنما هي من الشيطان، فليستعذ من شرّها، ولا يذكرها لأحد، فإنها لا تضرّه». رواه البخاري ومسلم.

وأضغاث الأحلام هي الأحلام الكاذبة، فالرؤيا الحسنة من الله، والحلم من الشيطان، ونصّ حديث أبي قتادة قال: قال النبي ﷺ: «الرؤيا الصالحة- وفي رواية: الرؤيا الحسنة- من الله، والحلم من الشيطان، فمن رأى شيئًا يكرهه فلينفث عن شماله ثلاثًا، وليتعوّذ من الشيطان، فإنها لا تضرّه». متفق عليه. والنفث: نفخ لطيف لا ريق معه.

ورواية جابر رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ قال: «إذا رأى أحدكم الرؤيا يكرهها، فليبصق عن يساره ثلاثًا، وليستعذ بالله من الشيطان ثلاثًا، وليتحوّل عن جنبه الذي كان عليه». رواه مسلم.

فإذا أخذ الإنسان بالأسباب قبل النوم: طهارة، وهدوء بال، بدون هواجس ولا وساوس، أو تفكير في أمر يقلق أعصابه، ويستولي على أحاسيسه، ونام على طهارة وقرأ الورد الذي أمر به رسول الله ﷺ، وتحرى الهيئة التي حثّ عليها المصطفى ﷺ، فإن الواجب ألا يذكرها لأحد، بل يحمد الله على ما يَسُر، ويستعيذ بالله من شرّ كل ما فيه ضرر.

واستدل بعض أهل العلم على أهمية كتمان النعمة، حتى توجد وتظهر، كما حصل في رؤيا يوسف عليه السلام: ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾ [يوسف: ٤]، إذْ أمره أبوه بعدم ذكرها لإخوته.

ورؤيا الأنبياء حق وهي جزء من الوحي، وبشارة بما يحصل لهم أو لأممهم. وصاحب الرؤيا إذا أراد تعبيرها ولا بد؛ فعليه أن يلتمس العالم العارف؛ ذا الفراسة والفطنة، والديانة والورع ليعبّرها له؛ لأن من كانت هذه صفته، قد يعطيه الله علم التعبير، كما عرف ذلك عن ابن سيرين رحمه الله- من علماء التابعين- وغيره في كل عصر ومصر،

ممن رزقهم الله موهبة في التعبير.

وقد روي أن المأمون العباسي، كان يبطل الرؤيا، ويراها أضغاث أحلام، ويقول: ليست بشيء، ولو كانت على الحقيقة كنا نراها، ولا يسقط منها شيء، فلما رأينا أن ما يصحّ منها الحرف والحرفان من الكثير، علمنا أنها باطل، وأن أكثرها لا يصحّ.

وكان بعث بابنه العباس إلى بلاد الروم، فأبطأ عليه خبره، فصلّى ذات يوم الصبح، وخفق وانتبه، ودعا بدابته وركب، وقال: أحدّثكم بأعجوبة، رأيت الساعة كأن شيخًا أبيض الرأس واللحية، عليه فروة، وكساؤه في عنقه، ومعه عصًا وفي يده كتاب، فدنا مني وقد ركبت، فقلت: من أنت؟ فقال: رسول العباس بالسلامة، وناولني كتابه، فقال المعتصم: أرجو أن يحقق الله رؤيا أمير المؤمنين، ويسره بسلامته، ثم نهض المأمون، فوالله ما هو إلا أن خرج فسار قليلاً حتي أبصر شيخًا قد أقبل نحوه في تلك الحال، فقال المأمون: هذا والله الذي رأيته في منامي، وهذه صفته فدنا منه الرجل، فنحاه خدمه وصاحوا به، فقال: دعوه.. فجاء الشيخ، فقال له: من أنت؟ قال: رسول العباس، وهذا كتابه، فبهت من كان حول المأمون، وطال من ذلك تعجبهم، فقال المعتصم: يا أمير المؤمنين، أتبطل الرؤيا بعد هذه؟ قال: لا.

لكن الذي يحذر منه رسول الله ﷺ هو الادعاء بأن الشخص رأى شيئًا وهو لم يره، إما لكي يتباهى به، أو ليجاري الآخرين في أحاديثهم عن الرؤيا، وقرن رسول الله ﷺ ذلك التحذير والعقاب الشديد بالكذب على رسول الله ﷺ، لما في ذلك من الإثم العظيم، والقول على الله، وعلى رسوله عليه الصلاة والسلام بغير الحق، فقد روى البخاري حديثًا عن واثلة بن الأسقع رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن من أعظم الفرى- جمع فرية، وهي الكذبة العظيمة- أن يُدْعى الرجل إلى غير أبيه، أو يُري عينيه ما لم تَرَ، أو يقول على رسول الله ﷺ ما لم يَقُلْ».

لقد كان في «شقراء» حاضرة الوشم منذ تسعين عامًا قاضٍ متضلع بعلمه، ومعروف بورعه وزهده مع بصر بتعبير الرؤيا، جاءته يومًا امرأة قائلة: إنني رأيت في المنام كان فارسًا على حصان أشهب قد دخل البلد، وله صوت أرهج أهل البلد، وفي يده اليمنى سيف، وفي الأخرى رمح، وصار يطوف بالبلد مع أكبر أسواقها فخرج الناس يمينًا وشمالاً، يستطلعون هذا الصوت، رجالاً ونساءً وأطفالاً من جميع الأعمار، فصار يضرب بالسيف فيهم يمينًا ويطعن بالشمال بالرمح، وكان ممن ضرب بالسيف أنت يا شيخ ثم عَدّت رجالاً ونساءً وولدانًا، قالت: أما أنا فقد وجّه إليّ رمحه، ولكنه عندما أهوى به، رأيت في رأسه قطعة قرعة، فانتبهت خائفة، فماذا يعني ذلك.. فاسترجع الشيخ، وقال لها: خيرًا إن شاء الله ولم يخبرها بشيء، ولكنه تحدث مع بعض طلابه بأن البلاد سيحصل فيها طاعون أو شيء يفتك بهم، وسأكون ومن ذكرت من الموتى، أحسن الله خاتمة الجميع.

أما هي فسوف ينجيها الله بالصدقة التي هي قطعة القرعة؛ لأن الصدقة تذهب ميتة السوء، وبعد عدة سنوات حصل المرض المشهور في نجد عام ١٣٣٧هـ، ومات فيه خلق كثير.

ومن يقرأ تعبيرات ابن سيرين، يجد نماذج عديدة وتعليلاتها، وكذا ما روي عن إياس بن معاوية وغيرهما، وفي بعضها محاسن، وبعضها مساوئ، كما يجد القارئ فطنة المعبر وذكاءه، وشواهده التي يستدل بها.

ونسأل الله العلي القدير أن يرزقنا الرؤيا الصالحة. والحمد لله رب العالمين.

○○○

ليلة النصف من شعبان وحكم الاحتفال بها

بقلم الشيخ: فتحي أمين عثمان
وكيل الجماعة

إن من الثوابت في الإسلام أن يُعبد الله وحده، وأن نعبده بما شرع، لا بما يشرِّع الناس بأهوائهم، ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلاَ يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾ [الكهف: ١١٠].

ولقد تعرض الإسلام للبدع ومحدثات الأمور في العقائد والعبادات وغيرها، وكان ذلك بتخطيط ماكر نسجته عناكب الملل الضالة، وذهب الماكرون وجاء دور المقلدين الغافلين، على أنه من المتفق عليه عند أهل العلم والفقه بالدين أن البدع النابتة تنسي الكثير من السنن، فما يفعله بعض الناس في المواسم طغى على ما وقع فيها من أحداث هامة من أمر الإسلام، ولقد كان من بين ما أحاطه الناس بالبدع والخرافات ليلة النصف من شعبان، ومما يورث الحسرة أنهم يعضون على تلك البدع بالنواجذ، ويرون إعادتهم إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ شيئًا غريبًا، ومن ذلك اعتقاد العامة وأشباههم أن ليلة النصف من شعبان ليلة ذات عبادات مخصوصة، وأن الاجتماع لإحيائها بالذكر والعبادة والدعاء وقراءة القرآن مشروع ومطلوب، وتبع ذلك أن ابتُدع لهم في إحيائها نظام خاص، فهم يجتمعون في المسجد عقب صلاة المغرب ويصلون صلاة خاصة باسم «صلاة النصف من شعبان»، ثم يقرعون بصوت مرتفع سورة «يس» ثلاث مرات، ثم يبتهلون بدعاء يعرف بدعاء «النصف من شعبان» يتلقفه بعضهم من بعض ويحفظونه على خلل في التلقين وفساد في المعنى.

في حين ينكر الشيخ أبو الوفاء درويش في كتابه «القبلة» نسبة هذا الدعاء إلى الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، مبرئًا إياه من أن يقول قولاً يناقض القرآن الكريم مناقضة صريحة، ويصادم ما ورد في السنة الصحيحة مصادمة واضحة، معللاً ذلك بقوله: تأمل هذه العبارة من الدعاء المشار إليه، اللهم إن كنت كتبتني عندك في أم الكتاب شقيًا أو محرومًا أو مطرودًا أو مقترًا عليَّ في الرزق فامح اللهم بفضلك شقاوتي وحرماني وطردي وإقتار رزقي، وأثبتني عندك في أم الكتاب سعيدًا موفقًا للخيرات، فإنك قلت وقولك الحق في كتابك المنزل على لسان نبيك المرسل ﴿يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ [الرعد: ٣٩]، فإن ابن مسعود لم يعلم أن ما كتبه الله على العباد هو ما علمه من الأسباب المفضية إلى مصائرهم، وعواقب أمورهم وخواتم شئونهم مما يجري على سنته تعالى التي قال عنها: ﴿سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلاً﴾ [الفتح: ٢٣]، ﴿وَلاَ تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلاً﴾ [الإسراء: ٧٧].

هذا، ويقول الشيخ شلتوت: إن هذه الآية- يقصد تلك التي يحتج بها المبطلون- إنما سيقت لتقرير أن الله ينسخ من أحكام الشرائع السابقة ما لا يتفق واستعداد الأمم اللاحقة، وأن الأصول التي تحتاجها الإنسانية العامة كالتوحيد والبعث والرسالة وتحريم الفواحش دائمة ثابتة وهي «أم الكتاب» الإلهي الذي لا تغيير فيه ولا تبديل، وإذن فلا علاقة لآية المحو والإثبات بالأحداث الكونية حتى تحشر في الدعاء وتذكر حيثية له.

وعن العبارة التي وردت في الدعاء، وهي: «في ليلة النصف من شعبان المعظم التي يفرق فيها كل أمر حكيم ويبرم»، يقول الشيخ شلتوت: هو وصف غير صحيح لهذه الليلة، فإن الليلة التي يفرق فيها كل أمر حكيم ويبرم هي ليلة القدر في رمضان بشهادة القرآن الكريم: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ [القدر: ١]، وقوله تبارك وتعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِيَ أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ﴾ [البقرة: ١٨٥]، وقوله

سبحانه وتعالى أيضًا: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ. فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ [الدخان: ٣، ٤]، وبالجمع بين هذه الآيات نجزم يقينًا أن الليلة المباركة التي يفرق فيها كل أمر حكيم هي ليلة القدر إحدى ليالي شهر رمضان.

حسن جدًا أن يعرف الناس أن لهم خالقًا عليمًا حكيمًا سميعًا بصيرًا يبتهلون إليه ويرفعون إليه أكف الضراعة ويدعونه مخلصين له الدين ويفزعون إليه في قضاء الحاجات وكشف الكربات ودفع الملمات، فالدعاء عَلَم الإيمان وشعاره، وهو مخ العبادة وصفوتها، وحسن جدًا أن يجتمع المسلمون لأداء الصلاة في جماعة، فالجماعة سنة من سنن الهدى لا يتخلف عنها إلا منافق، وحسن جدًا أن يتلو المسلمون سورة «يس» ويتدبرون آياتها، ولكن الرسول الأمين ﷺ يقول: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد». وفي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها، عن النبي ﷺ أنه قال: «مَن أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد»، ولا جرم أن تخصيص هذه الليلة بمثل هذا النظام من القراءة والدعاء لم يكن عليه أمر رسول الله ﷺ، ولا أَمْرُ خلفائه الراشدين، فهو إذًا من محدثات الأمور التي نهانا الرسول ﷺ عنها، والله تبارك وتعالى يقول: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الحشر: ٧]، وقد بيّن لنا رسول الله ﷺ مظان إجابة الدعاء.

وعن عدم مشروعية الاحتفال بليلة النصف من شعبان وعن كونه بدعة يذكر سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله في كتابه «التحذير من البدع» قوله: «والآيات والأحاديث في هذا المعنى كثيرة، وهي تدل دلالة صريحة على أن الله سبحانه وتعالى قد أكمل لهذه الأمة دينها وأتم عليها نعمته، ولم يتوفَّ نبيه عليه الصلاة والسلام، إلا بعدما بلغ البلاغ المبين، وبيّن للأمة كل ما شرعه الله لها من أقوال أو أفعال، فكل بدعة مردودة على من أحدثها ولو حسن قصده».

ويتابع سماحته الحديث عن تخصيص يومها بالصيام قائلاً: «وليس على ذلك دليل يجوز الاعتماد عليه، وقد ورد في فضلها أحاديث ضعيفة لا يجوز الاعتماد عليها، أما ما ورد في فضل الصلاة فيها فكله موضوع، كما نبه على ذلك كثير من أهل العلم».

وينهي سماحته كلامه قائلاً: «فلو كانت ليلة النصف من شعبان أو ليلة أول جمعة من رجب أو ليلة الإسراء والمعراج يشرع تخصيصها باحتفال أو شيء من العبادات لأرشد إليه أو فعله بنفسه (أي الرسول ﷺ) ولو وقع شيء من ذلك لنقله الصحابة رضي الله عنهم إلى الأمة ولم يكتموه عنها، وهم خير الناس وأنصح الناس بعد الأنبياء عليهم الصلاة والسلام».

وبعد أن خلص سماحته إلى أنه لم يثبت عن رسول الله ﷺ ولا عن أصحابه رضي الله عنهم شيء في فضل ليلة أول جمعة من رجب ولا في فضل ليلة النصف من شعبان نجده يقول: «فاعلم أن الاحتفال بهما بدعة محدثة في الإسلام، وكذلك تخصيصهما بشيء من العبادة بدعة منكرة.

وتأكيدًا لهذا المعنى السليم والحكم الصحيح يقول الشيخ شلتوت: والذي صح عن النبي ﷺ وحفظت روايته عن أصحابه، وتلقاه أهل العلم والتمحيص بالقبول إنما هو فقط شهر شعبان كله، لا فرق بين ليلة وليلة، وقد طلب فيه على وجه عام الإكثار من العبادة وعمل الخير، وطلب فيه الإكثار من الصوم على وجه خاص، تدريبًا للنفس على الصوم.

وتعظيم رمضان إنما يكون بحسن استقباله والاطمئنان إليه بالتدريب عليه وعدم التبرم به، أما خصوص ليلة النصف والاجتماع لإحيائها وصلاتها ودعائها فلم يرد فيها شيء صحيح عن النبي ﷺ ولم يعرفها أحد من أهل الصدر الأول». اهـ.

على أنه ينبغي أن يعرف أن تفضيل إنسان أو زمان أو مكان أو جهة عن غيره لا يكون لذاته، إنما يكون باجتباء الله له واصطفائه على ما سواه، فالحذر أن نقع في مصيبة الخلط بين ما يصح الاعتقاد به من غيب الله، وبين ما يُظَنُّ للعمل به على أنه فضيلة من الفضائل، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين.

دفاع عن الإسلام

بقلم الشيخ: مصطفى درويش

عجيب أن يسكن الإنسان في بيت من زجاج رقيق لا يستر من بداخله ثم يتصدى لرجم الساكنين في الحصون بالحجارة.

ونحن لا نتصدى للعقائد المخالفة للإسلام، يكفي أن الإسلام دين يأمر الإنسان أن يعبد الله وحده ولا يشرك في العبادة شيئًا، وأن الخالق سبحانه وتعالى ليس له فروع تولدت عنه، كما أنه تعالى ليس بفرع تولد من أصل؛ لأن كل ذلك يتنافى مع العظمة والجلال والعلو. والمجتمعات التي انتسبت لغير ذلك أفرادها غير مقتنعين إطلاقًا بالصفات التي ألصقت بمعبودهم واعتبروها جميعًا في دائرة اللامعقول وغير قابلة للتصديق بالقلب، فكانت النتيجة أن رتعت هذه المجتمعات في كل أوحال الرذيلة، وهم يظنون أن الذي تَعرّض للإمساك به والمحاكمة والقتل والدفن في المقبرة أضعف من أن يعذبهم.

والبعض وصفها بأنها تضحية وفداء لتخليص الناس من المعصية، والعجيب أن أسفارهم تزخر بقصص الغضب الإلهي الذي صبه الإله على الأمم الضالة من إغراق بطوفان وتدمير وحرق بالكبريت والنار والإبادة الكاملة لقرى بأكملها، وبعد هذا الغضب الرهيب يتواضع ويقدم نفسه للمحاكمة والقتل والدفن في الأرض!!!

وقد عبر القرآن الكريم أكمل تعبير عن صلة هؤلاء بأفكارهم، فقال: ﴿وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا مَّا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلاَ لآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلاَّ كَذِبًا﴾ [الكهف: ٤، ٥].

فهي معتقدات لا تؤسس على علم، وليس لدى المصدر الذي ثلثوا عنه وهو الآباء ليس لديهم علم، بل هي كلمة تخرج من الأفواه لا من القلوب؛ لأن القلوب تنكرها، وتجمعهم حولها هو تجمع مصالح وارتباط دنيوي ليس إلا حيث يجد الفرد حمايته ومصالحه داخل الطائفة، وذلك في مجتمع الأقليات، أما في البلدان الأوربية فهي سنة مهجورة.

صدقوني إني كنت أحاضر في إحدى الجامعات الألمانية عن عقيدة التوحيد في الإسلام، فأجمع الطلبة على أني لا بد أن أثبت أولاً وجود إله؛ لأنهم لا يؤمنون إلا بالمنظور، فغيرت موضوع المحاضرة وبيَّنتُ لهم أنهم يؤمنون بأشياء لا يرونها، وهي الروح والكهرباء والمغناطيس، ويعتبرون وجود أثرها يدل على وجود المؤثر، وقلت هذا التنظيم الدقيق لدوران الأرض حول الشمس والليل والنهار وخروج النبات وأطوار الجنين وأشياء أخرى، ألا تدل على وجود قوة عليا مهيمنة مسيطرة منظمة ومدبرة.

وانتهى الأمر إلى اعتناق الإسلام، ولكن ماذا يفعل الذين يسكنون بيوتًا من زجاج هش؟!

قالوا: تعدد الزوجات عمل بهيمي وحيواني، والله خلق آدم وحواء رجل وامرأة فقط! وقالوا: إن القصاص والحدود في الإسلام تولد عاهات مستديمة، وفيها غلظة وقسوة!! وقالوا: الإسلام انتشر بحد السيف!! هذا بعض ما قالوا...

أما عن تعدد الزوجات فأسفارهم المقدسة تقول: إن إبراهيم كانت له زوجتان، ويعقوب كانت له أربع زوجات، وهكذا أنبياء العهد القديم، وأن الله تعالى بارك نسل هذا الزواج المتعدد ووعد بجعله كنجوم السماء.

فهل يبارك الله العمل الحيواني البهيمي!!

وداود عندكم كانت له ثلاث عشرة امرأة، إحداهن اغتصبها من قائده أوريا الحثي بعد أن دبر له جريمة قتل، وقبل الزواج بها رآها تستحم

عارية فوق السطح فوقع في هواها وارتكب معها الفاحشة، هذا داود في أسفاركم، أما داود في القرآن فقد قال الله تعالى عنه: ﴿نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾.

وسليمان كانت له ألف امرأة ثلاثمائة زوجات، والباقي سراري... هذا سليمان في أسفارهم الذي قالوا عنه: إن النسوة أملن قلبه وراء آلهة أخرى!!

والمجتمعات الآن التي لم تتمكن من تعدد الزوجات اضطرت إلى تعدد الخليلات والعشيقات، وإلا فماذا فعل مراهق أمريكا الكبير ووزير دفاع دولة أخرى ورؤساء وزارات وأمراء وغيرهم لا يخجلون من إعلان عدد أولادهم الشرعيين وغير الشرعيين، ولو كان في إمكانهم الزواج بالعشيقات ما وقعوا في الفضائح.

أما عن العاهات المستديمة التي يسببها القصاص والحدود في الإسلام، فنقول: ارجعوا إلى أسفاركم المقدسة ستجدون بالنص: الرجم والقتل وقطع اليد عقوبات لجرائم متعددة، فهل هي في توراتكم أسفار مقدسة وفي القرآن عاهات مستديمة وغلظة!!!

أما عن انتشار الإسلام بالسيف، فالناس في البلدان الأوربية الآن وغيرها يتدفقون إلى الإسلام بعد معرفته، فأين السيف هنا!! وهل يملك السيف أن يغير القلوب.

وأخيرًا... لا نطلب منكم إلا شيئًا واحدًا، اجلسوا على انفراد وأقيموا العقل المعطل وابدعوا في التفكير في عظمة هذا الكون وإبداعه، فهل يتعرض الخالق العظيم المهيمن لما تقولون عنه وتُسمونه تواضعًا وتضحية وفداءً، حتى إن الشيطان في أسفاركم مرة أخذه على قمة جبل وطلب منه أن يسجد له، وأخرى أخذه على جناح الهيكل وطلب منه أن يلقي بنفسه من أعلى!!

وهكذا... الذي يسكن بيتًا من زجاج ويرجم بالحجارة ساكني الحصون في النهاية سيجد نفسه في العراء.

﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾.

* * *

المنطوق والمفهوم

بقلم الشيخ: أسامة سليمان

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده... وبعد:

فإن دلالة الألفاظ على المعاني قد تستنبط من منطوق الكلام أو من مفهومه.

والمنطوق هو ما دل عليه اللفظ في محل النطق، اي أن دلالة اللفظ تكون من الحروف التي ينطق بها، وينقسم المنطوق إلى خمسة أقسام عند العلماء:

١- النص؛ وهو ما أفاد معنى واحدًا لا يحتمل معه غيره، ومن ذلك قوله سبحانه: ﴿فَصِيَامُ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ﴾ [البقرة: ١٩٦]، فوصف العشرة بانها كاملة تمنع من دخول أي معنى آخر سوى المنطوق.

٢- الظاهر؛ وهو ما حمل لفظه على المعنى الراجح مع احتمال غيره احتمالاً مرجوحًا، ومن ذلك قوله سبحانه: ﴿وَلاَ تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىَ يَطْهُرْنَ﴾ [البقرة: ٢٢٢]، فانقطاع دم الحيض يُقال له: طهر، والغسل يُقال له: طهر، والراجح هو المعنى الثاني، والمعنى الأول مرجوح، ولذلك قال الجمهور: ولا تقربوهن حتى يغتسلن، فإذا اغتسلن فاتوهن من حيث أمركم الله، واستُدل لذلك بقراءة حمزة والكسائي «حتى يطَّهرن» بتشديد الطاء، وكذلك فإن ظاهر اللفظ يدل على أن المراد الطهارة الحسية، وهي الاغتسال بالماء فضلاً عن أن الله سبحانه بيَّن في الآية الكريمة أن الحكم يتوقف على شرطين:

١- انقطاع الدم.

٢- الاغتسال بالماء.

في قوله سبحانه: ﴿فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ﴾.

٣- المؤول؛ وهو ما حمل اللفظ على المعنى المرجوح لدليل يمنع المعنى الراجح، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ﴾ [الإسراء: ٢٤]، فاللفظ في الآية الكريمة يحمل على التواضع وحسن الخلق والخضوع لاستحالة أن يكون للإنسان أجنحة، فلفظ «الجناح» له معنى راجح، وهو الجارحة المعروفة، ومعنى مرجوح هو التواضع، فحمل اللفظ على المعنى المرجوح لدليل يمنع المعنى الراجح، وهذا هو التأويل المحمود، أما التأويل المذموم فهو صرف اللفظ عن المعنى الراجح إلى المرجوح بدون قرينة أو دليل، ومن ذلك تأويل المعطلة لآيات الصفات.

٤- دلالة الاقتضاء، حيث تتوقف صحة اللفظ على إضمار كلمة، ومن ذلك قوله سبحانه: ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ [البقرة: ١٨٤]، والمقصود: فمن كان منكم مريضًا أو على سفر فأفطر فعدة من أيام أخر، أما إذا صام في سفره فلا قضاء عليه، خلافًا لأهل الظاهر الذين قالوا بوجوب القضاء على المسافر والمريض حتى وإن صاما، وهذا مخالف للأدلة الصحيحة، وسمي اقتضاء لأن الكلام يقتضي شيئًا زائدًا على اللفظ، ومنه قوله سبحانه: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ﴾ [النساء: ٢٣]، أي: نكاح أمهاتكم؛ لأن التحريم لا يضاف إلى الأعيان، فوجب إضمار فعل يتعلق به التحريم وهو النكاح، فصحة اللفظ تتوقف على إضماره.

٥- دلالة الإشارة؛ وصحة دلالة اللفظ في هذا النوع لا تتوقف على إضمار، واللفظ يدل على ما لم يقصد به، ومنه قوله تعالى: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ﴾ [البقرة: ١٨٧]، فالآية تشير إلى صحة صيام من أصبح جنبًا؛ لأن إباحة الوطء إلى طلوع الفجر تستلزم الإصباح على جنابة؛ لأن الغسل سيكون بعد دخول وقت الصبح ضمنًا في هذه الحالة.

ثانيًا: المفهوم:

وهو ما دل عليه اللفظ لا في محل النطق، وينقسم إلى قسمين:

١- مفهوم موافقة؛ وهو ما يوافق حكمه المنطوق، ويسمى فحوى الخطاب إذا كان المفهوم أولى بالحكم من المنطوق، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿فَلاَ تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا﴾ [الإسراء: ٢٣]، فمنطوق الآية تحريم التأفف، والمفهوم تحريم ما هو أعلى من ذلك من باب أولى، كالضرب والشتم، فلا يقول عاقل: إن ضرب الأب يجوز؛ لأن الله نهى عن التأفف فقط ولم ينه عن غيره، فإن قال ذلك اتهمناه بالغفلة؛ لأن النهي عن الأدنى معناه النهي عن الأعلى من باب أولى.

وإن ثبت الحكم للمفهوم كثبوته للمنطوق على السواء عرف ذلك بلحن الخطاب، ومن ذلك قوله سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ [النساء: ١٠]، فالمفهوم أيضًا من الآية حرمة إحراق مال اليتيم وإضاعته وإتلافه، فالآية تدل على تحريم أكل مال اليتيم بالمنطوق، وبالمفهوم تفيد أيضًا حرمة إتلافه بأي صورة من الصور.

٢- مفهوم المخالفة : وهو ما يخالف حكمه المنطوق، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا...﴾ [الحجرات: ٦]، فمفهوم التعبير بفاسق يعني أن غير الفاسق لا يُتَثَبَّت من خبره.

وكذلك قوله تعالى: ﴿وَإِن كُنَّ أُولَاتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُوا عَلَيْهِنَّ﴾ [الطلاق: ٦].

ومفهوم المخالفة له شرطان حتى يكون حجة عند العلماء هما:

١- ألا يكون ما ذكر خرج مخرج الغالب، كقوله تعالى: ﴿وَلاَ تَقْتُلُواْ أَوْلاَدَكُم مِّنْ إمْلاَقٍ﴾ [الأنعام: ١٥١]، فالغالب عليهم أنهم كانوا يقتلون أولادهم من فقر، وليس معنى ذلك أنه يجوز قتل الولد فيما سوى ذلك.

٢- ألا يكون ما ذكر لبيان الواقع، كقوله سبحانه: ﴿وَلاَ تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاء إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا﴾ [النور: ٣٣]، فلا يفهم من ذلك أنه في حالة عدم إرادة التحصن يجوز الإكراه؛ لأن ذلك ذكر لبيان واقع.

والله من وراء القصد.

مراجع البحث

١- الإتقان للسيوطي.
٢- مناهل العرفان.
٣- البرهان في علوم القرآن للزركشي.

استدراك

وقع خطأ في العدد الماضي في اسم أحد الإخوة الفائزين في مسابقة القرآن الكريم، حيث نشرت المجلة اسم الفائز الرابع: إيهاب أحمد فتحي- منية النصر، والصواب: إيهاب أحمد فهمي أحمد- مدينة نصر.

صلاة الأم .. وسلوك الطفل

بقلم:
د. إبراهيم عبدالمنعم الشربيني

لِصلاة الأم أكبر الأثر في سلوك الطفل:

١- صلاة الأم.. حفظ للطفل:

كان سعيد بن المسيب رحمه الله يحدث ولده فيقول له: إني لأزيد في صلاتي رجاء أن أُحفظ فيك. ثم تلا قوله تعالى: ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا﴾ [الكهف: ٨٢].

فانظري- رحمك الله- إلى هذا الفقه العالي من ابن المسيب؛ إنه يزيد في صلاته ليحفظ الله ولده.

ولهذا تكون صلاتك صلاحًا لك وحفظًا لولدك.

قال رسول الله ﷺ: «احفظ الله يحفظك...». فالله يحفظ العبد بصلاحه بعد موته في ذريته، كما قال تعالى: ﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا﴾ [الكهف: ٨٢].

فهذان نبيان كريمان- موسى والخضر- يبنيان الجدار ليُحفظ المال لابني الرجل الصالح، فحفظ الله الغلامين بصلاح أبيهما.

وقال عمر بن عبدالعزيز رحمه الله: ما من مؤمن يموت إلا حفظه الله في عقبه وعقب عقبه.

٢- صلاة الأم تمرين للطفل على الصلاة:

معلومٌ طبيعة تقليد الطفل لمن يراه، فصلاة الأم وطفلها واقف أو جالس بجوارها دافع لتقليده لها وهي تؤدي الصلاة بحركاتها من قيام وركوع وسجود وجلوس، فتكون صلاتك- التي يراها منك وتقليده لك- تمرينًا على الصلاة، حتى إذا بلغ السابعة التي ينبغي عندها أن يُعلم الصلاة؛ سهل تعليمه، وكان هذا دافعًا له على أدائها والمحافظة عليها، فإن تعليم الصلاة لولدٍ أمُّهُ من المصليات أسهل وأقرب وأنفع ممن ليس كذلك، عافاكِ الله.

فرؤية الصغار لصلاة المصلين في البيت تكسب الطفل حب الصلاة، وتعمق في نفسه أركانها وسننها؛ مما يساعد الوالدين على تعويد الطفل في هذا العمر الصلاة، فيرى ويلاحظ لينطلق بشكل عملي.

وقد أخرج عبدالرزاق في «مصنفه» عن مالك، عن نافع قال: رأيت صفية بنت أبي عبيدة توضأت وأنا غلام، فإذا أرادت أن تمسح رأسها سلخت الخمار. (جامع الأصول: ٥/٤٩٧).

٣- تعظيم الطفل لأمر الصلاة:

إسراع الأم لتلبية النداء «الأذان» بالصلاة يترك في نفس الطفل انطباعًا عن أهمية الصلاة، ويتربى على القيام بواجبها لمجرد سماعه للأذان، فيسارع لأدائها وينشط لفعلها، وذلك حين يرى أمه تترك إعداد الطعام والشراب وترتيبات البيت من أجل أن تصلي إذا سمعت النداء، فيعظِّم أمر الصلاة في قلبه.

٤- يتعلم الطفل تعظيم الله:

بتعويد الطفل الصلاة يعظِّم أمر ربه، ويرجع إليه في كل شأنه، ويعلم أن هناك من هو أكبر من أبيه وأمه، بعد أن كان يرى أن أكبر شيء شخصية الأب وشخصية الأم، لكن حين يرى الأم تسجد في خشوع وخضوع واستسلام لله؛ يعلم أن الله أكبر

من كل شيء، فيعظمه، وبمجرد أن يخطئ فيُذكر- بأنه خالف أمر الله العظيم - تذكر.

وبدلاً من أن يعتاد الطلب في كل حاجة من أبيه أو أمه، يلجأ إلى ربه فيصلي له ويدعوه.

٥- تعلم النظافة والنظام وتأثيرهما على سلوكه:

فبالوضوء يتعلم الطفل الطهارة، فيحب النظافة، فيبدو على سلوكه وتصرفاته، وبالصلاة في المسجد يتعلم الطفل النظام في تسوية الصفوف فيحب النظام، وتستقيم عليه حياته، وينمو بذلك إحساسه بالجمال.

وهذه بعض النصائح أسوقها إليكِ أيتها المؤمنة، حتى يستفيد ولدك من صلاتك؛ فتؤثر في سلوكه :

١- أداء الصلوات أمام طفلك، وعدم زجره عند الوقوف بجوارك:

فهذا رسول الله ﷺ لما رأى اهتمام عبدالله بن عباس رضي اللّه عنهما بالصلاة، والوقوف بجواره، يتتبع كيف يصلي وهو غلام؛ اهتم ﷺ بصلاة هذا الطفل الصغير معه، وصحح له، فجعله عن يمينه بدلاً من يساره، وفتل أذنه كلما أغفى. (روى ابن خزيمة في صحيحه (٣/١١٧) عن ابن عباس حديثًا بهذا المعنى.

وروى البخاري عن ابن عباس رضي اللّه عنهما قوله: بتُّ في بيت خالتي ميمونة بنت الحارث زوج النبي ﷺ، وكان النبي ﷺ عندها في ليلتها، فصلى النبي ﷺ العشاء، ثم جاء إلى منزله، فصلى أربع ركعات، ثم نام، ثم قام، ثم قال: «نام الغُلَيم»- أو كلمة تشبهها- ثم قام فقمت عن يساره، فجعلني عن يمينه، فصلى خمس ركعات، ثم صلى ركعتين.

٢- التشجيع:

تشجع الأم ولدها بإظهار السرور بصلاته وحركاته فيها، وتحفيزه بالجوائز والهدايا وبعبارات التشجيع والثناء، كل هذا يبعث في نفس الطفل حب الصلاة .

٣- المسارعة إلي الصلاة:

ترك أي عمل في يد الأم عندما تسمع النداء وإسراعها للصلاة يربط ذهن الطفل بالأذان، فما إن يسمع صوته حتى يلبي بالذهاب إلى الصلاة فيترك لهذا كل عمل ويدرك معنى: «الله أكبر، الله أكبر... لا إله إلا الله».

٤- تدعو الأم طفلها أحيانًا وتطلب منه أن يصب عليها ماء الوضوء

فيرى عمليًا كيف تتوضأ أمه، فيتعلم كيف يتوضأ وأنه لا تصح صلاة بغير وضوء، وأن الوضوء شرط في صحة الصلاة.

وتتابع الأم وضوء طفلها حين يتوضأ، وتوجهه بغير زجر أو عتاب إذا أخطأ.

٥- اصطحاب الأطفال إلى المساجد إذا ذهبت الأم إلى المسجد

وليس في اصطحابهم نهي، والأحاديث الواردة في ذلك لم تثبت عن النبي ﷺ، بل إن في سنة النبي ﷺ ما يدعو لاصطحابهم وعدم تجنيبهم بيوت الله أو مكان الصلاة.

فعن أبي قتادة رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يصلي وهو حامل أمامة بنت زينب- بنت رسول الله ﷺ- وهي لأبي العاص بن الربيع، فإذا قام حملها، وإذا سجد وضعها. (البخاري: ٥١٦، كتاب الصلاة، ومسلم كتاب المساجد ومواضع الصلاة).

وهذا حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يصلي، فإذا أرادوا أن يمنعوا- الحسن والحسين- أشار إليهم أن دعوهما، فإذا قضى الصلاة وضعهما في حجره، وقال: «من أحبني فليحب هذين». (مسند أبي يعلى: ٨/ ٤٣٤). وقال الشيخ مصطفى العدوي في كتابه «فقه تربية الأولاد»: إسناده صحيح.

٦- دعاء الأم ربها وهي واقفة في صلاتها على الأقل خمس مرات

تدعو الله له أن يهديه إذا عرض لها من سلوكه شيء أثناء ساعات اليوم فإنه لا حول ولا قوة إلا بالله فتستعين بالله عز وجل، وحوله ومدده وقوته على ما تراه من سوء في سلوكه وتصرفاته والله مجيب الدعاء، ولا أحد أحرص على الولد ومصلحته ولا أخلص له من أُمه، فبقي أن تتذللي بين يدي الله بالدعاء، وأن توقني بالإجابة، فلا تفرطي في هذا الباب، واجعليه دأبك في كل شأنك.

○○○

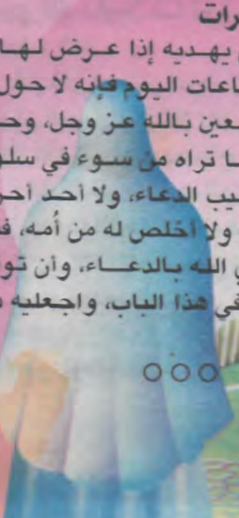

أختاه ليس هذا بحجاب!!

بقلم الشيخ: متولي البراجيلي

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

دخلت علينا إحدى قريباتي (من محارمي) مسرورة مبتهجة، فسلمت، ثم بادرتنا بالحديث: ألا تهنئونني؟

□ **قلت** : على ماذا؟

○ **قالت** : ألا أترون أني قد ارتديت الحجاب!

فنظرت إليها، فلم أر شيئًا قد تغير من هيئتها وملابسها، اللهم إلا غطاءً صغيرًا تضعه على رأسها، فقلت في نفسي: وأين هذا الحجاب؟ أنا لا أرى إلا كاسية عارية، كما وصفها رسول الله ﷺ ، فقلت لها (في رفق): لكن يا أختاه ليس هذا بحجاب!

فنظرت إليَّ مندهشة غاضبة، وهي التي كانت تتوقع مني غير ذلك، فلطالما دعوتها للحجاب.

لماذا الحجاب؟!

□ **قلت** : لا تغضبي واسمعي، لماذا الحجاب؟

المرأة مخلوق جميل، خلقها ربها في أجمل صورة، وركب في الرجل فطرة الميل إليها، وهي من أحب الشهوات إلى الرجال، كما قال تعالى: ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ ﴾ [آل عمران: ١٤].

وكذلك جعل في المرأة فطرة الميل إلى الرجل، ولكن الفارق أن الرجل هو الطالب للمرأة، الساعي إليها، المتمني لها.

والخالق سبحانه أحاط هذا الميل الفطري بسياج شرعي، ألا وهو النكاح، فكل لفتة وكل جارحة في بدن المرأة تحرك غريزة الرجل.

من أجل ذلك سدَّ المولى سبحانه وتعالى كل المنافذ التي قد تؤدي إلى الافتتان المُحرم بالمرأة، فأمر الرجل بغض البصر عنها، ومنعه عن الخلوة بها، وأمرها بما أمر به الرجل، لكنه خصها بالأمر بالحجاب، وأن تواري هذا البدن عن أعين الرجال، فتقي نفسها الفتنة وكذلك الرجال، وتعينهم على طاعة الله. فالحجاب فرض لإخفاء كل معالم جمال المرأة وفتنتها. أواضح ذلك؟

○ **قالت** : نعم واضح.

□ **قلت** : فإذا جاءت المرأة بشكل أو بآخر وأظهرت فتنتها أو جزءًا منها فلفتت الأنظار إليها فقد أبطلت حكمة الحجاب، بل الأكثر من ذلك أن الإسلام حرم عليها الإيماء والإشارة إلى زينتها الداخلية، كصوت خلخال أو حلي أو ريح عطر، أو نحو ذلك.

فإذا نظرنا إلى حجابك (المزعوم) الآن، فهل حقق مما قلناه شيء؟

○ **قالت** : لكني أغطي جميع بدني ولا يظهر مني شيء إلا وجهي وكفيَّ.

□ **قلت** : للحجاب شروط ذكرها العلماء يحسن بك أن تعلميها.

شروط الحجاب

١- يغطي جميع البدن (إلا ما استثني).
٢- أن لا يكون زينة في نفسه.
٣- أن يكون صفيقًا (سميكًا) لا يشف.
٤- أن يكون فضفاضًا (واسعًا) غير ضيق.
٥- أن لا يكون مبخرًا معطرًا.
٦- أن لا يشبه لباس الرجال.
٧- أن لا يشبه لباس الكافرات.
٨- أن لا يكون لباس شهرة.

وكل شرط من هذه الشروط له دليل من نصوص الكتاب والسنة، فإذا اختل شرط من هذه الشروط اختل جزء من تطبيق الحجاب.

فإذا نظرنا الآن إلى حجابك، كم شرطًا تحقق فيه؟ شرط واحد فقط وهو استيعاب البدن إلا الوجه والكفين، وباقي الشروط لا أثر لها، فأنتِ ترتدين «البنطلون» وهو يصف بدنكِ ويُفصله، فضلاً عن أنه يشبه لباس الرجال والكافرات، وترتدين «البلوزة» الشفافة الضيقة التي تبرز معالم صدرك، إضافة إلى عطرك الذي يملأ المكان الآن، فبربك هل هذا حجاب؟ هل دارى فتنتك عنا؟ بل- والله- زادك إثارة وفتنة!!

اسمعي هذا الحديث: عن أسامة بن زيد قال: كساني رسول الله ﷺ قبطية كثيفة مما أهداها له دحية الكلبي، فكسوتها امرأتي، فقال: «ما لك لم تلبس القبطية؟»، قلت: كسوتها امرأتي، فقال: «مرها فلتجعل تحتها غلالة، فإني أخاف أن تصف حجم عظامها». [أخرجه أحمد وغيره بسند حسن، كما في «حجاب المرأة» للألباني].

فالنبي ﷺ يخشى أن يوصف عظم المرأة؛ فكيف لو رأى نساءنا الآن؟!

فسكتت وأطرقت للأرض، فواصلت كلامي.

الحجاب فرض

أمرك الله تعالى به: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ ﴾ [الأحزاب: ٥٩]، وقال تعالى: ﴿ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ.... ﴾ [النور: ٣١]، فلا سبيل لكِ إلى التعطيل أو التسويف، بل الواجب عليك أن تنصاعي لأمر ربك عملاً بقوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ﴾ [الأحزاب: ٣٦].

وما رأينا على مدى تاريخ الإسلام أحدًا من أهل العلم قال: إن حجاب المرأة ليس بفرض عليها، وأن لها الخيار في ذلك، بل

جميعهم يتفقون على وجوب ستر بدن المرأة (إلا خلافًا ورد في جواز كشف الوجه والكفين أو عدم جوازه).

فلا يغرنكِ قول بعض متعالمي زماننا، أو قول التي قالت: إنها قرأت كتاب الله من الجلدة للجلدة فما رأت آية واحدة تأمر بالحجاب.

○ **قالت** : لكن إلزام المرأة بالحجاب قد يؤدي إلى نفورها، فينبغي أن تقتنع بعقلها أولاً؟

□ **قلت** : هذه شبهة شيطانية تدور على السنة معظم المتبرجات الآن، فهل ستعرضين آيات الله وسنة رسول الله ﷺ على عقلك وهواكِ؟ هل يكون العقل البشري المخلوق منازعًا لأوامر من خلقه وأمره ونهاه، (فلو أننا افترضنا عبدًا كلما أمره سيده بأمر فإنه لا ينفذه ويقول: حتى أعرضه على عقلي أولاً، فهل هذا عبد صالح؟ بل هو عبد سوء، يستحق الطرد من خدمة سيده).

فلو فتحنا هذا الباب فإننا سنرد الشريعة بالكلية، إلا ما وافق عقولنا وهوانا، فلا نصلي ولا نصوم حتى نقتنع.

○ **قالت** : لكن الحجاب يختلف عن الصلاة والصيام؟

□ **قلت** : لا خلاف بينها، فالذي أمر بالصلاة والصيام هو الله سبحانه الذي أمر بالحجاب، والأمر واجب التنفيذ في الحال طالما وصل إلينا، وانظري معي إلى الصحابيات الأوائل.

عن عائشة رضي الله عنها قالت: يرحم الله نساء المهاجرات الأُوَل، لما أنزل الله: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ﴾ شققن مروطهن فاختمرن بها. [البخاري: (٤٧٥٨)].

فما انتظرن حتى يشترين أو يفصلن، وإنما بادرن بالامتثال، فمعظم الخطايا بداية من معصية إبليس- لعنه الله- كانت بسبب إعمال العقل القاصر أمام النص القاطع.

والله تعالى قرن النهي عن التبرج بالأمر بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وطاعة الله ورسوله في آية واحدة. فقال: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلاَ تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلاَةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ [الأحزاب: ٣٣].

فقدم النهي عن التبرج عن الأمر بإقامة الصلاة، بل إن حفاظك على الصلاة من الواجب أن يدعوك للحجاب، لقوله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّلاَةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ﴾ [العنكبوت: ٤٥]، ومن أعظم المنكر التبرج.

إن حالكم لا يختلف عن حال بني إسرائيل الذين ذمهم الله في قرآنه: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَن يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنكُمْ إِلاَّ خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ﴾ [البقرة: ٨٥].

○ **قالت**: أنت احتدمت عليَّ، على خلاف ما بدأنا به الكلام.

□ **قلت** : معذرة، لكن عذري أن الجرح غائر وعميق.

○ **قالت** : إنني أعرف كثيرًا من الفتيات والنساء المتبرجات لكنهن عفيفات طاهرات.

□ **قلت** : وأنا لا أنكر ذلك، لكن صلاح الباطن لا يغني عن صلاح الظاهر، بل إن صلاح الظاهر وانقياده لأمر ربه لهو أكبر دليل على صلاح الباطن، فمن تمام الإيمان أن يستسلم العبد بكل جوارحه لشرع ربه، لا يختار شيئًا ويترك أشياء، فقد أمرنا الله تعالى بقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ ادْخُلُواْ فِي السِّلْمِ كَافَّةً﴾ [البقرة: ٢٠٨]، أي في جميع شرائع الدين، لا نترك منها شيئًا.

والشرع أمرنا بإقامة الأحكام في الدنيا على الظاهر، ونَكِل السرائر، فعلمها عند الله تعالى، فالحجاب يضفي عليكِ عفة الظاهر إضافة لعفة الباطن، وهو أمر الله إليك، وعهد رسول الله ﷺ إليك.

○ **قالت** :ماذا تعني بعهد رسول الله ﷺ إليّ؟

□ **قلت** : لأن النبي ﷺ عندما كان يبايع المؤمنة على الإسلام، كان ضمن شروط البيعة ترك التبرج، فلما جاءت أميمة بنت رقيقة إلى رسول الله ﷺ تبايعه على الإسلام، فقال: «أبايعك على أن لا تشركي بالله ولا تسرقي ولا تزني ولا تقتلي ولدك ولا تأتي ببهتان تفترينه بين يديك ورجليك، ولا تنوحي، ولا تبرجي تبرج الجاهلية الأولى». «مسند أحمد».

فحجابك ينشر الفضيلة في جنبات المجتمع، ويساعد إخوانك الرجال على عفتهم، ففساد المجتمعات يأتي أول ما يأتي من فتنة النساء، كما قال المعصوم ﷺ.

○ **قالت** : لكن الأمر ليس بهذه الصورة، فالتبرج صار ظاهرة مستقرة في المجتمعات الإسلامية فلا يلفت الأنظار.

□ **قلت** : أولاً: إن فشو المعاصي واستقرارها لا يعني انتقالها من الحرمة إلى الحل، فمثلاً لو بيعت الخمور في كل مكان حتى على الأرصفة، فهل يعني هذا أنها صارت حلالاً؟ المعصية معصية، حتى وإن ارتكبها الناس كلهم.

ثانيًا: مَن قال إن تبرج المرأة صار لا يلفت الأنظار؟ هذا كلامكن يا معشر النساء، ومن وافقكن من مغرضي الرجال. فالمرأة هي المرأة، وغريزة الرجل لم تتبدل؛ لأنها فطرة الله فيه، وحال الفتيات مع الفتيان في المجتمعات الحديثة هو أكبر دليل على صدق قولنا؛ من اعتداء وخطف وتحرش وزواج سر.... إلخ.

ومن يتصنع أنه لا ينظر إليكِ أمام عينكِ، فهو ينظر إليكِ من خلفك، ويجعلكِ مادة لسمر الأصدقاء.

والشيطان لا ينفك يزين المرأة في أعين الرجال حتى وإن كانت غير جميلة، كما قال ﷺ : «المرأة عورة، فإذا خرجت استشرفها الشيطان». [صحيح الجامع: ٦٦٩٠].

ولو كان التبرج أمرًا عاديًا ما نهى الله عنه، فهو الذي خلق الذكر والأنثى، ويعلم ما يصلحهما وما يفسدهما.

○ **قالت** : ثم ماذا؟

□ **قلت** : المسارعة يا أختاه إلى الله، ﴿وَسَارِعُواْ إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [آل عمران: ١٣٣] بإعلان التوبة النصوح، فإن توبة المرأة؛ أصلها وعمود خيمتها الحجاب، ولا يغرنك كثرة العاصيات من حولك، ولا تركني إلى العادة والإلف، فقد قال الله: ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [الأنعام: ١١٦].

فنريد أن نراكِ في المرة القادمة- إن شاء الله- محجبة بالفعل وفق الشروط التي ذكرناها وأمر بها الله ورسوله.

○ **قالت** : سأحاول والله المستعان.

□ **قلت** : اصدقِ الله يصدقك.

○○○

لا يا دعاة التقريب

الحلقة الثانية

بقلم د. علي بن السيد الوصيفي

الحمد لله رب العالمين، وها نحن نواصل اللقاء معًا أخي القارئ لنقف على حقيقة الشيعة من كتبهم، وقد انتهينا في الحلقة السابقة أن هدف الشيعة من التقريب يتبلور في عدة نقاط:

أولها: الاتفاق على مجموعة من العقائد المشتركة بين الفريقين المختلفين.

الثاني: أن الشيعة يريدون البحث عن سبل عملية سياسية أو اجتماعية ليتبلور فيها حقيقة التقريب.

الثالث: أن الشيعة يريدون غض النظر عن كل ما يسبب التناحر والفرقة والنزاع.

ومن خلال ما تقدم فإني أرسلها رسالة- أحتسبها عند الله تعالى- لكل مسلم ينتهج منهج أهل السنة يريد أن يستفيد من تاريخ الإسلام، ويرى فيه العبرة والعظة فينتفع بها في حياته ويحفظ بها دينه ونفسه، فمعلوم أن الشيعة تآمروا مع التتار للاستيلاء على بغداد، وقتلوا المعتصم، وأبادوا ما يقرب من ثمانمائة ألف مسلم في خلال شهر، وتآمروا مع الصليبيين على المسلمين في بلاد الشام، وعلى بلاد مصر، وهذا كله لا يخفى لمن درس التاريخ.

قال ابن تيمية في «منهاج السنة النبوية» (١/ ٢٠، ٢١): فتجدهم أو كثيرًا منهم إذا اختصم خصمان في ربهم من المؤمنين والكفار واختلف الناس فيما جاءت به الأنبياء، فمنهم من آمن، ومنهم من كفر، سواء كان الاختلاف بقول أو عمل، كالحروب التي بين المسلمين وأهل الكتاب والمشركين، تجدهم يعاونون المشركين وأهل الكتاب على المسلمين أهل القرآن، كما قد جربه الناس منهم غير مرة، في مثل إعانتهم للمشركين من الترك وغيرهم على أهل الإسلام بخراسان والعراق والجزيرة والشام وغير ذلك، وإعانتهم للنصارى على المسلمين بالشام ومصر، وغير ذلك من وقائع متعددة، من أعظمها الحوادث التي كانت في الإسلام في المائة الرابعة والسابعة، فإنه لما قَدِم كفار الترك إلى بلاد الإسلام وقتل من المسلمين ما لا يحصي عدده إلا رب الأنام كانوا من أعظم الناس عداوة للمسلمين ومعاونة للكافرين، وهكذا معاونتهم لليهود أمر شهير، حتى جعلهم الناس لهم كالحمير. (انتهى).

فيالله العجب من ترك هذا التاريخ ينادي بذم الشيعة واتهامهم بالعمالة والخيانة، وقومنا يضعون أيديهم في أيديهم، ويجالسونهم مع ما جاء به النذير محذرًا مما يجلب علينا النقمات والمحن بسبب ذلك، وليس مثل ما دلت عليه السنة المطهرة أن الله تعالى قد آذن بالحرب من عادى أولياءه كما في الحديث: «من عادى لي وليًا فقد آذنته بالحرب»، وهؤلاء عادوا صحابة رسول الله ﷺ وسبوهم ولعنوهم وكفروهم، وقد أمروا أن يستغفروا لهم، وقد أوجب الله تعالى على نفسه أن ينفذ وعيده فيهم.

فلنحذر أن نكون لهم أولياء أو نصراء، فينالنا بذلك من حرب الله تعالى ما لا قبل لنا به، اللهم احفظ بلادنا وشبابنا من هذا البلاء، اللهم آمين.

ولك أخي القارئ الكريم أُبين معتقد الشيعة من كتبهم، حتى تكون على بينة من الأمر، ولا تغتر بتلك الدعاوى التي تنادي بما يتنافى مع منهج أهل السنة خاصة، وعقيدة المسلمين عامة.

حقيقة معتقد الشيعة

الخلاف بيننا وبين الشيعة في أصول الدين، ولا مرية في ذلك، فالشيعة ينكرون صفات الله تعالى، ولا يؤمنون برؤية الله تعالى في الآخرة، ويعتقدون بعصمة الأئمة، وأن لهم ولاية تكوينية على ذرات الكون، وأنهم أعلى مقامًا من الأنبياء، ويبغضون جبريل كاليهود، ولا يؤمنون بالصحيحين، ولا بأي كتاب من كتب السنة.

عقيدة البداء

ومعناه الظهور بعد الاختفاء، والشيعة يعتقدون أن الشيء قد يخفى على الله ثم يظهر له بعد ذلك، تعالى الله عما يقولون علوًا كبيرًا. وانظر كتاب «كمال الدين» للقمي (١/٦٩).

زعمهم أن القرآن محرف

يقول محمد بن النعمان الملقب بالمفيد في أوائل المقالات (ص: ٥٤): إن الأخبار قد جاءت مستفيضة عن أئمة الهدى من آل محمد (باختلاف القرآن وما أحدثه بعض الظالمين فيه من الحذف والنقصان). (انتهى).

خلق أفعال العباد

وفي «الفصول المهمة في أصول الأئمة» (ص: ٨١) نقلاً عن كتاب «بين السنة والشيعة» لإحسان إلهي، رحمه الله وأنزله منازل الشهداء، (ص: ١٥٥) قال العاملي: مذهب الإمامية والمعتزلة أن أفعال العباد صادرة عنهم وهم خالقون لها. (انتهى).

وقد عقب إحسان على ذلك قائلاً: وهذا مخالف لصريح القرآن، حيث ذكر فيه: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات: ٩٦]، وصدق ما انتهى إليه، وهذا هو معتقد أهل السنة.

تكفير الصحابة!!

لقد كفر الشيعة أصحاب النبي ﷺ إلا القليل منهم كعلي، والمقداد، وسلمان، وأبي ذر، وعمار بن ياسر، وبناء على ذلك فهم لا يأخذون الحديث والسنة إلا عن هؤلاء فقط.

قال الملا محمد باقر فيما نقله أحمد الإحسائي في «شرح الزيارة» (٣/١٨٩): ومن الجبت أبو بكر، ومن الطاغوت عمر، والشياطين بني أمية وبني العباس، وحزبهم أتباعهم، والغاصبين لإرثكم من الإمامة والفيء. (انتهى).

ولاية الأئمة وعصمتهم

وإن لم يطلق عليهم لفظ النبوة، إلا أنهم في منزلتهم أو أعظم، وقد صرح الكليني في «الأصول من الكافي» (٢/٢٦٩) قال: وروي عن جعفر أنه قال: نحن خزان علم الله، نحن تراجمة أمر الله، نحن قوم معصومون، أمر الله تبارك وتعالى بطاعتنا، ونهى عن معصيتنا، نحن الحجة البالغة على من دون السماء وفوق الأرض. (انتهى).

التقية!!

ويراد بها عندهم: الكذب والنفاق وقلب الحق باطلاً والباطل حقًا، وقد حكى الكليني في «الكافي» (٢/٢١٨) عن هشام الكندي: قال سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: والله ما عُبد الله بشيء أحب إليه من الخبء، قلت: وما الخبء؟ قال: التقية. (انتهى).

ويزعمون أن جعفر الصادق قال: التقية ديني ودين آبائي. انظر «المنتقى» (ص: ٦٨).

تعظيم المشاهد والقبور والدعاء عندها والاستغاثة بأهلها

وهذا أمر تراه في النجف وعند قبر فاطمة وعند قبر حمزة، وغيرها من القبور.

جواز نكاح المتعة

وقد نسخ الحكم بإباحتها - كما هو معلوم في السنة- ولكنهم يصرون عليها كما هو متواتر في النقل عنهم.

الرجعة!!

ويراد بها رجعة الميت إلى الدنيا قبل البعث والحساب؛ ليحقق لهم آمالهم، ويشفي صدورهم من أعدائهم، وهم يعتقدون ذلك في المهدي، كما يعتقد اليهود ذلك في المسيح الدجال. وانظر «تفسير مجمع البيان» للطبرسي (٤/٢٣٥).

الحكم على الشيعة

قال الإمام مالك رحمه الله تعالى بكفر من يكفر الصحابة ويبغضهم، واحتج بقوله تعالى: ﴿يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ﴾ [الفتح: ٢٩]. وانظر «تفسير ابن كثير» من سورة الفتح.

وفي «المغني» (٢١٩/٢) قال الإمام أحمد: لا يصلى على الرافضي، وقال أبو بكر بن عياش: لا أصلي على رافضي ولا حروري، وقال الفريابي: من شتم أبا بكر فهو كافر لا أصلي عليه، قيل له: فكيف نصنع به وهو يقول: لا إله إلا الله؟ قال: لا تمسوه بأيديكم، ارفعوه بالخشب حتى تواروه في حفرته. (انتهى).

يقول شيخ الإسلام في «منهاج السنة النبوية» (٢٤/١): وفضلت اليهود والنصارى على الرافضة بخصلتين؛ سئلت اليهود: من خير أهل ملتكم؟ قالوا: أصحاب موسى، وسئلت النصارى: من خير أهل ملتكم؟ قالوا: حواريو عيسى، وسئلت الرافضة: من شر أهل ملتكم؟ قالوا: أصحاب محمد، أمروا بالاستغفار لهم فسبوهم، فالسيف عليهم مسلول إلى يوم القيامة، لا تقوم لهم راية، ولا يثبت لهم قدم، ولا تجتمع لهم كلمة، ولا تجاب لهم دعوة، دعوتهم مدحوضة، وكلمتهم مختلفة، وجَمعُهم متفرق، كلما أوقدوا نارًا للحرب أطفأها الله. (انتهى).

ما الواجب مع الشيعة؟

هناك قواعد لمواجهة أهل البدع أرساها الدين وبينها علماء السلف، لم يكن لنا أن نتغافلها أو نتهاون في بيانها، من هذه القواعد الاتفاق على الأصول؛ إذ لا بد لكل متناظرين أن يتفقا على أصل يرجع إليه عند الخلاف والنزاع، لا أظن أن جلوسنا مع الشيعة يروق على هذا الأصل، ذلك أن الشيعة يقولون: إن القرآن محرف أو ناقص، ثم يطعنون في السنة ويكفرون نقلتها، فالمواجهة مع الشيعة من خلال المناظرة صعب ومحال، وعليه فجلوسنا معهم لا طائل من ورائه، إلا إذا كان على اعتبار أننا نجلس معهم لنقيم عليهم الحجة، ونرد على إفكهم، وندحض شبهاتهم، كما ذهب النبي ﷺ إلى ابن صياد، وذلك ليكشف كذبه وضلاله، ولم يكن لأهل الحق أن يجلسوا مع أصحاب الدعاوى الكاذبة إلا لنصر السنة وأهلها وكبح البدع وأهلها، لا من أجل التقريب أو المصانعة والمداهنة، فإذا كان لمن تقلد الأمر باع وبصيرة، فبها ونعمت، أما إذا غرر بهم، فربما يستحون عند ذلك من المواجهة الصريحة، التي تقتضي الخصومة وإعلان البراءة، فعند ذلك الحذر الحذر من الجلوس معهم، وإن لم يكن من بد من اللقاء، فقولوا للشيعة: اجهروا لنا بمعتقداتكم، لا نريد أكثر من ذلك، فإن لم تقدروا على ذلك الطلب فأريحوا أنفسكم، واحفظوا دينكم، وليبق الأمر على ما كان عليه الأئمة الأربعة، وسائر الصحابة تجاه الشيعة وأذيالهم، حتى يرث الله الأرض ومن عليها، ولنبرأ إلى الله تعالى منهم، ومن حبهم والقرب منهم، ولنقل للشيعة الخلاف واسع والهوة عظيمة، والأمر يقتضي أن تدخلوا في الإسلام كافة كما دخله صحابة رسول الله ﷺ، وإلا فلن يقبل منكم، ولستم على شيء، قال تعالى: ﴿فَإِنْ آمَنُواْ بِمِثْلِ مَا آمَنتُم بِهِ فَقَدِ اهْتَدَواْ وَّإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ﴾ [البقرة: ١٣٧]، ولتعلموا أن السنة كما قال مالك: كسفينة نوح، من ركبها نجا، ومن تركها غرق.

هذا ما أردت بيانه، والحق أحق أن يتبع، وفي النهاية لا بد أن نوضح أهمية الأمر والنهي، وأنه لا يسقط مهما كانت العواقب والمحن، وأنه لا يحول دون اجتماع الصف، ولكن أي صف؟ إنه الصف الذي تتنزل به الكرامات، وتستمطر به الرحمات، وينتصر به على الأعداء، أما الصف الذي يتكون من فرق شتى وعقائد متعددة، فلن تهتدي به أمة، ولن تنتصر به فرقة، ونظرة واحدة في السيرة النبوية تبرز لنا حقيقة ذلك.

فعندما خالف بعض الصحابة أمر النبي ﷺ في غزوة أحد وقع ما وقع، ولما قال بعضهم ما قال يوم حنين، وقع ما وقع، غير أنه حين يعاد الكر كان ينادى على أصحاب الشجرة تارة، أو البدريين تارة أخرى.

فليس التقريب مع الشيعة من سبل عودة الخلافة، ولا عودة الأقصى، وإنما السبيل في توحيد الله تعالى وتنزيه الصف وتمييزه، وهذا كما قال العلاَمة الألباني رحمه الله: التصفية والتربية، ويقصد بالتصفية: إزالة ما لحق بالأمة من الشرك والبدعة، ثم التربية، ويراد بها فهم عقيدة التوحيد على هدي السلف الصالح رضوان الله عليهم.

أسأل الله أن يحفظنا وأمتنا من الزلل، اللهم آمين.

طرفة علمية

- جاء رجل إلى ابن عقيل، فقال له: إني اغتمس في النهر غمستين وثلاثًا ولا اتيقن انه قد عمني الماء ولا اني قد تطهرت، فقال له: لا تصلِّ، فقيل له: كيف قلت هذا؟ قال: لأن رسول الله ﷺ قال: «رفع القلم عن المجنون حتى يفيق»، ومن ينغمس في النهر مرتين وثلاثًا يظن انه ما اغتسل فهو مجنون!!

أول من وضع علم العروض والقافية؟؟

اول من وضع علم العروض والقافية: الخليل بن احمد من غير سابقة تعلم على استاذ او تدرج في وضع، بل ابتدعه، وحصر فيه اوزان العرب في خمسة عشر بحرًا، وزاد عليه تلميذ تلميذه الأخفش بحرًا اخر، ثم لم يزد عليهما احدٌ يعتد به، فقد كان العلماء قبل الخليل يتكلمون فيها، ولكن الخليل هو اول من فصل فيها، وجعلها علمًا مدونًا.

من أراد الصحة؟؟

قال بعض الحكماء: من أراد الصحة فليجود الغذاء، ولياكل على نقاء، وليشرب على ظماء، وليقلل من شرب الماء، ويتمدد بعد الغداء، ويتمشى بعد العشاء، ولا يَنَمْ حتى يعرض نفسه على الخلاء.

اربعة أشياء تمرض الجسم: الكلام الكثير، والنوم الكثير، والأكل الكثير، والجماع الكثير.

والله الموفق.

من وصايا السلف...
وصية علي بن أبي طالب إلى كميل بن زياد

□□ قال كمَيلُ بن زياد:

أخذ علي بن أبي طالب بيدي، فأخرجني إلى ناحية الجبان، فلما أصحرنا؛ جلس، ثم تنفس، ثم قال: يا كُمَيْلُ بن زياد، القلوب أوعيةٌ، فخيرها أوعاها؛ احفظ ما أقول لك:

الناس ثلاثةٌ: فعالِمٌ رباني، ومتعلمٌ على سبيل نجاةٍ، وهمجٌ رعاعٌ أتباعُ كل ناعقٍ، يميلون مع كل ريحٍ، لم يستضيئوا بنور العلم، ولم يلجاوا إلى ركنٍ وثيق.

العلمُ خيرٌ من المال، العلمُ يحرسك، وأنت تحرس المال، العلم يزكو على العمل، والمال تنقصه النفقةُ، ومحبةُ العالِم دينٌ يُدانُ بها.

العلم يُكسب العالِم الطاعة في حياته وجميل الأحدوثةِ بعد موته، وصنيعةُ المال تزولُ بزوالِه.

مات خُزَّانُ الأموالِ وهم أحياءٌ، والعُلماء باقون ما بَقِيَ الدهرُ؛ أعيانهم مفقودةٌ، وأمثالهم في القلوب موجودةٌ.

ها؛ إن هاهنا- وأشار بيده إلى صدره- علمًا لو أصبتُ له حملةً.

بلى أصبتُه لَقِنًا غير مأمونٍ، يستعملُ آلة الدين للدنيا، يستظهر بحجج الله على كتابه، وبنعمه على عباده، أو مُنقادًا لأهل الحقِّ لا بصيرةَ له في إحيائه، يقتدح الشكُّ في قلبه بأول عارضٍ من شُبْهةٍ، لا ذا ولا ذاك، (لا يدري أين الحق؟ إن قال؛ أخطأ، وإن أخطأ؛ لم يدرِ، مشغوفٌ بما لا يدري حقيقته، فهو فتنة لمن افتتن به، وإن من الخير كله من عرّفه الله دينه، وكفى بالمرء جهلاً أن لا يعرف دينه)، أو منهومًا باللذات، سلس القياد للشهوات، أو مغرًى بجمع الأموالِ والادّخار، وليسا من دُعاة الدِّين، أقرب شبهًا بالأنعام السائمة، كذلك يموتُ العلم بموت حامليه، اللهم بلى، لا تخلو الأرض من قائم لله بحجة لئلا تبطل حجج الله وبيناته.

أولئك هم الأقلون عددًا، الأعظمون عند الله قدرًا، بهم يدفع الله عن حججِه حتى يُؤدوها إلى نظرائهم، ويزرعوها في قلوب أشباههم، هجم بهم العلم على حقيقةِ الأمر، فاستلانوا ما استوعر منه المترفون، وانسوا بما استوحش منه الجاهلون، صحبوا الدنيا بأبدانٍ أرواحها معلقةٌ بالمنظر الأعلى، أولئك خلفاءُ الله في بلاده، ودعاتُهُ إلى دينه.

هاه هاه! شوقًا إلى رؤيتهم، وأستغفر الله لي ولك، إذا شئت فقم.

قال الخطيب: قال ابن عبدالبر في «جامع بيان العلم»: وهو حديث مشهور عند أهل العلم، يستغنى عن الإسناد؛ لشهرته عندهم.

وقال ابن كثير في «البداية والنهاية»: قد رواه جماعة من الحفاظ الثقات، وفيه مواعظ وكلام حسن، رضي الله عن قائله.

مصنفات يحتاجها طالب العلم!!

أهم المصنفات التي يحتاجها طالب العلم في بحثه وتحقيقه لمسائل الدين:

○ الأول: الجوامع:

والجامع: هو الكتاب الحديثي الذي جمع فيه مصنفه جميع الأبواب التي يُحتاج إليها من العقائد، وتتضمن أبواب الإيمان، والتوحيد، والرد على الجهمية، وغيرها من أبواب الاعتقاد، والأحكام، والرقائق، والآداب، والفضائل، والمناقب، والمثالب، والتفسير، والتاريخ، والسير، والجهاد، والفتن.

فهي جمعت بذلك جميع أبواب الدين ومهماته.

○ ومن هذه الجوامع:

الجامع الصحيح للبخاري، وصحيح مسلم ، وجامع الترمذي.

○ الثاني: السنن:

وكتب السنن: هي الكتب المرتبة على الأبواب الفقهية، ولا يذكر فيها مصنفوها أبواب التفسير، أو الفضائل.

وغالب ما فيها الأحاديث المرفوعة، ولا يذكرون الموقوف إلا ضرورة.

○ ومن هذه السنن:

سنن أبي داود، والنسائي، وابن ماجه، والدارمي.

○ الثالث: الموطآت:

والموطأ: هو الكتاب المرتب على الأبواب الفقهية، إلا أنه يختلف عن السنن في أنه يجمع بين المرفوع، والموقوف، والمقطوع، وقد يحوي البلاغات.

ومن أشهر هذه الموطآت وأصحها:

موطأ مالك بن أنس رحمه الله.

ويمتاز بعلو سنده، واحتوائه على أقوال الإمام مالك رحمه الله.

○ الرابع: المسانيد:

والمسند: هو الكتاب الذي رتبه مصنفه على أسماء الصحابة ومسانيدهم، وغالبًا ما يبدءون في ذلك بمسانيد الخلفاء الأربعة، ثم تمام العشرة المبشرين بالجنة ثم بقية الصحابة.

○ ومن أشهر هذه المسانيد:

مسند الإمام أحمد، ومسند إسحاق بن راهويه، ومسند أبي يعلى الموصلي.

○ المصنفات:

ونقصد بالمصنف: الكتب المرتبة على الأبواب الفقهية، وما له تعلق بها، وقد تورد أبوابًا في الزهد والفضائل، وتجمع بين المرفوع والموقوف والمقطوع، إلا أن اهتمامها بذكر الموقوف والمقطوع أكثر: ولذلك فهي مظنة الوقوف على الآثار.

○ ومن أهم المصنفات:

مصنف عبدالرزاق، ومصنف ابن أبي شيبة.

○ كتب الأحكام المسندة:

وهي الكتب التي اعتنت بذكر أبواب الفقه والأحكام فقط دون غيرها، مع ذكر ما ورد فيها من الاتفاق، والاختلاف، وحجج المذاهب.

ومن أشهر هذه الكتب:

شرح معاني الآثارللطحاوي، والأوسط لابن المنذر، والسنن الكبرى، ومعرفة السنن والآثار كلاهما للبيهقي.

○ كتب التخاريج:

وهي الكتب التي جمعت تخريج أحاديث بعض المصنفات الفقهية، فإن كانت هذه المصنفات فقهية؛ كان كتاب التخريج مرتبًا حسب الكتب والأبواب الفقهية.

○ ومن أشهر هذه الكتب:

نصب الراية تخريج أحاديث الهداية للحافظ الزيلعي رحمه الله.

تلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير للحافظ ابن حجر العسقلاني رحمه الله.

موافقة الخُبر الخَبر في تخريج أحاديث المختصر للحافظ ابن حجر أيضًا .

الدراية تخريج أحاديث الهداية له أيضًا.

ومن أشهر كتب المعاصرين وأنفعها على الإطلاق كتاب: إرواء الغليل تخريج أحاديث منار السبيل للشيخ الألباني رحمه الله تعالى.

◻◻ وصايا إلى طالب العلم ◻◻

١- كن مخلصًا للنية؛ فإنْ فَقَدَ العلمُ إخلاص النية انتقل من أفضل الطاعات إلى أحط المخالفات، ولا شيء يحطم العلم مثل الرياء، ومثل التسميع، وذلك للحديث: «من سمع؛ سمع الله به».

وعليه، فالتزم التخلص من كل ما يشوب نيتك في صدق الطلب؛ كحب الظهور والتفوق على الأقران وجعله سُلمًا لأغراض وأعراض من جاه أو مال أو تعظيم أو سمعة أو طلب مَحْمَدَةٍ، أو صرف وجوه الناس إليك. فإن هذه وأمثالَها إذا شابت النية أفسدتها وذهبت ببركة العلم. وقد أثر عن سفيان الثوري رحمه الله أنه قال: ما عالجت شيئًا أشد عليٌ من نيتي.

٢- الاشتغال بتطهير الظاهر والباطن:

طهارة الظاهر باتباع السنة، وحسن السمت، ونظافة الثوب والبدن مطلوبة من كل مسلم، وهي أكثر تأكدًا في حق طالب العلم.

قال ابن جماعة رحمه الله: على طالب العلم أن يطهر قلبه من كل غش ودنس وغل وحسد، وسوء عقيدة وخلق؛ ليصلح بذلك لقبول العلم وحفظه، فإن العلم كما قال بعضهم: صلاة السر وعبادة القلب، وقربة الباطن.

وقال سهل: حرام على قلبٍ أن يدخله النور وفيه شيء مما يكره الله عز وجل.

والله ولي التوفيق.

الإعلام بسير الأعلام

الإمام العابد الزاهد «سفيان الثوري»

بقلم الشيخ: مجدي عرفات

☐ نسبه: هو سفيان بن سعيد بن مسروق بن حبيب بن رافع بن ثور بن عبد مناة أبو عبد الله الثوري الكوفي شيخ الإسلام إمام الحفاظ سيد العلماء العاملين في زمانه المجتهد.

☐ **مولده**: ولد سنة سبع وتسعين اتفاقًا بالكوفة في خلافة سليمان بن عبد الملك.

والده: سعيد بن مسروق الثوري المحدث من أصحاب الشعبي وخيثمة بن عبد الرحمن، ومن ثقات الكوفيين وعداده في صغار التابعين.

شيوخه وطلابه:

يُقال: إن عدد شيوخه ستمائة شيخ وكبارهم الذين حدثوه عن أبي هريرة وجرير بن عبد الله وابن عباس وأمثالهم، وقد قرأ الختمة عرضًا على حمزة الزيات أربع مرات.

وأما الرواة عنه فخلق، فذكر ابن الجوزي أنهم أكثر من عشرين ألفًا.

قال الذهبي: وهذا مدفوع ممنوع، فإن بلغوا ألفًا فبالجهد، وما علمت أحدًا من الحفاظ روى عنه عدد أكثر من مالك وبلغوا بالمجاهيل وبالكذابين ألفًا وأربعمائة.

طلبه للعلم:

بكَّر في طلب العلم حتى رآه أبو إسحاق السبيعي مقبلاً، فقال: ﴿وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًا﴾.

قال أبو المثنى: سمعتهم بمرو يقولون: قد جاء الثوري، قد جاء الثوري، فخرجت أنظر إليه، فإذا هو غلام قد بقل وجهه (خرج شعره).

قال الذهبي: كان ينوه بذكره في صغره من أجل فرط ذكائه وحفظه وحدث وهو شاب.

قال عبد الرزاق وغيره عن سفيان: قال: ما استودعت قلبي شيئًا قط فخانني.

زهده وورعه:

قال رحمه الله: ليس الزهد بأكل الغليظ ولبس الخشن، ولكنه قصر الأمل وارتقاب الموت.

قال شعيب بن حرب: قال لي الثوري: يا أبا صالح، احفظ عني ثلاثًا: إذا احتجت إلى شسع فلا تسأل وإن احتجت إلى ملح فلا تسأل، واعلم أن الخبز الذي تأكله بملح عجن، وإن احتجت إلى ماء فاستعمل كفيك فإنه يجري مجرى الإناء.

قال شعبة: ساد سفيان الناس بالورع والعلم.

قيل للفضيل بن عياض في بعض ما كان يذهب إليه من الورع: مَن إمامك في هذا؟ قال: سفيان الثوري.

وعن قتيبة بن سعيد قال: لولا سفيان لمات الورع.

قال قبيصة: ما جلست مع سفيان مجلسًا إلا ذكر الموت؛ ما رأيت أحدًا كان أكثر ذكرًا للموت منه.

عبادته وخشيته لله:

قال: ما بلغني عن رسول الله * حديث قط إلا عملت به ولو مرة.

وعن يوسف بن أسباط قال لي سفيان بعد العشاء: ناولني المطهرة أتوضأ، فناولته فأخذها بيمينه ووضع يساره على خده فبقي متفكرًا ونمت، ثم قمت وقت الفجر، فإذا المطهرة في يده كما هي، فقلت: هذا الفجر قد طلع، فقال: لم أزل منذ ناولتني المطهرة أتفكر في الآخرة حتى الساعة.

قال عطاء الخفاف: ما لقيت سفيان الثوري إلا باكيًا، فقلت: ما شأنك؟ قال: أخاف أن أكون في أم الكتاب شقيًا.

قال ابن وهب: رأيت الثوري في المسجد الحرام بعد المغرب صلى، ثم سجد سجدة، فلم يرفع رأسه حتى نودي بصلاة العشاء.

قال علي بن فضيل: رأيت سفيان الثوري ساجدًا حول البيت، فطفت سبعة أسابيع قبل أن يرفع رأسه.

قال مزاحم بن زفر: صلى بنا سفيان الثوري المغرب، فقرأ حتى بلغ: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾، بكى حتى انقطعت قراءته، ثم عاد فقرأ: ﴿ الْحَمْدُ للَه ﴾.

وقال عبد الرحمن بن مهدي: نزل عندنا سفيان وقد كنا ننام أكثر الليل، فلما نزل عندنا ما كنا ننام إلا أقله.

قال يحيى القطان: ما رأيت رجلاً أفضل من سفيان، لولا الحديث كان يصلي ما بين الظهر والعصر، وبين المغرب والعشاء، فإذا سمع مذاكرة الحديث ترك الصلاة وجاء.

ثناء العلماء عليه:

قال شعبة وابن عيينة وأبو عاصم ويحيى بن معين وغيرهم: سفيان الثوري أمير المؤمنين في الحديث.

قال ابن المبارك: كتبت عن ألف ومائة شيخ ما كتبت عن أفضل من سفيان.

قال يونس بن عبيد: ما رأيت أفضل من سفيان، فقيل له: فقد رأيت سعيد بن جبير وإبراهيم وعطاءً ومجاهدًا وتقول هذا؟ قال: هو ما أقول، ما أريت أفضل من سفيان.

وقال يحيى القطان: ليس أحد أحبَ إليّ من شعبة ولا يَعْدِلُه أحد عندي وإذا خالفه سفيان أخذت بقول سفيان.

قال عباس الدوري: رأيت يحيى بن معين لا يقدم على سفيان أحدًا في زمانه في الفقه والحديث والزهد وكل شيء.

قال ابن عيينة: ما رأيت رجلاً أعلم بالحلال والحرام من سفيان الثوري.

قال العجلي: أحسن إسناد الكوفة: (سفيان عن منصور عن إبراهيم عن علقمة عن عبد الله).

قال بشر الحافي: كان الثوري عندنا إمام الناس. وقال: سفيان في زمانه كأبي بكر وعمر في زمانهما.

وقال الخريبي: ما رأيت أفقه من سفيان.

درر من أقواله

قال شعيب بن حرب: قلت لسفيان الثوري: حدث بحديث في السنة ينفعني الله به، فإذا وقفت بين يديه وسألني عنه قلت: يا رب، حدثني بهذا سفيان فأنجو أنا وتؤخذ، فقال: اكتب: بسم الله الرحمن الرحيم، القرآن كلام الله، غير مخلوق، منه بدا، وإليه يعود، ومن قال غير هذا فهو كافر، والإيمان قول وعمل ونية، ويزيد وينقص، وتقدمة

الشيخين، إلى أن قال: يا شعيب، لا ينفعك ما كتبت حتى ترى المسح على الخفين، وحتى ترى أن إخفاء بسم الله الرحمن الرحيم أفضل من الجهر بها، وحتى تؤمن بالقدر، وحتى ترى الصلاة خلف كل بر وفاجر والجهاد ماض إلى يوم القيامة، والصبر تحت لواء السلطان جار أو عدل، فقلت: يا أبا عبد الله، الصلاة كلها، قال: لا، ولكن صلاة الجمعة والعيدين، صلِّ خلف من أدركت، وأما سائر ذلك فأنت مخير لا تصلِّ إلا خلف من تثق به وتعلم أنه من أهل السنة، فإذا وقفت بين يدي الله فقل: يا رب، حدثني بهذا سفيان بن سعيد، ثم خل بيني وبين ربي عز وجل.

قال الذهبي: هذا ثابت عن سفيان. «تذكرة الحفاظ».

قيل له: إلى متى تطلب الحديث؟ قال: وأي خير أنا فيه خير من الحديث فأصير إليه؟ إن الحديث خير علوم الدنيا.

ومن أقواله:

○ المال داء هذه الأمة، والعالِم طبيب هذه الأمة، فإذا جر العالِم الداء إلى نفسه فمتى يُبرئ الناس؟

○ ما أعلم شيئًا أفضل من طلب العلم بنية.

○ لو همَّ رجل أن يكذب في الحديث وهو في جوف بيته لأظهر الله عليه.

○ البدعة أحب إلى إبليس من المعصية، المعصية يُتاب منها، والبدعة لا يُتاب منها.

○ إياك والأهواء والخصومة، وإياك والسلطان. قاله لرجل قال: أوصني.

○ لا أعلم شيئًا أفضل منه- يعني الحديث- لمن أراد الله به، وقال: إن الناس يحتاجون إليه في طعامهم وشرابهم.

قال المعافى بن عمران: سمعته يقول: وددت أن كل حديث في صدري وكل حديث حفظه الرجال عني نسخ من صدري وصدورهم، فقلت: يا أبا عبد الله، ذا العلمُ الصحيح والسنة الواضحة التي قد بينتها تتمنى أن تنسخ من صدرك؟ قال: اسكت، وما يدريك؟ ألست أريد أن أقف يوم القيامة وأُسأل عن كل مجلس جلسته وكل حديث حدثته: أيش أردت به؟

قال الذهبي: حب ذات الحديث والعمل به لله مطلوب من زاد المعاد وحب روايته وعواليه والتكثر بمعرفته وفهمه مذموم مخوف فهو الذي خاف منه سفيان والقطان وأهل المراقبة، فإن كثيرًا من ذلك وبال على المحدث.

○ طلبت العلم ولم يكن لي نية، ثم رزقني الله النية.

○ من زعم أن ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ مخلوق فقد كفر بالله.

○ لا يجتمع حب علي وعثمان إلا في قلوب نبلاء الرجال.

○ استوصوا بأهل السنة خيرًا، فإنهم غرباء.

○ الإسناد سلاح المؤمن، فمن لم يكن معه سلاح فبأي شيء يقاتل.

○ الملائكة حراس السماء، وأصحاب الحديث حراس الأرض.

قيل له: ليست لهم نية- يعني أصحاب الحديث- قال: طلبهم له نية، لو لم يأتني أصحاب الحديث لأتيتهم في بيوتهم.

سئل عن أحاديث الصفات، فقال: أمروها كما جاءت.

قال محمد بن عبد الله بن نمير في قول سفيان: ما أخاف على نفسي غير الحديث؟ قال:

لأنه كان يحدث عن الضعفاء، قال الذهبي: ولأنه كان يدلس عنهم، وكان يخاف من الشهوة وعدم النية في بعض الأحايين.

المحنة

عن عطاء بن مسلم قال: لما استخلف المهدي بعث إلى سفيان، فلما دخل خلع خاتمه فرمى به إليه، فقال: يا أبا عبد الله، هذا خاتمي فاعمل في هذه الأمة بالكتاب والسنة، فأخذ الخاتم بيده وقال: تأذن في الكلام يا أمير المؤمنين؟ وقال عبيد: قلت لعطاء: يا أبا مخلد، قال له يا أمير المؤمنين؟ قال: نعم، قال: أتكلم على أني آمن؟ قال: نعم، قال: لا تبعث إليَّ حتى آتيك، ولا تعطني شيئًا حتى أسألك، قال: فغضب من ذلك وهم به، فقال له كاتبه: أليس قد أمنته يا أمير المؤمنين؟ قال: بلى، فلما خرج حف به أصحابه، فقالوا: ما منعك يا أبا عبد الله، وقد أمرك أن تعمل في هذه الأمة بالكتاب والسنة؟ قال: فاستصغر عقولهم، ثم خرج هاربًا إلى البصرة.

قال ابن سعد: وطلب سفيان، فخرج إلى مكة، فكتب المهدي أمير المؤمنين إلى محمد بن إبراهيم وهو على مكة يطلبه، فبعث محمد إلى سفيان فأعلمه ذلك، وقال: إن كنت تريد إتيان القوم فاظهر حتى أبعث بك إليهم، وإن كنت لا تريد ذلك فتوار، قال: فتوارى سفيان، وطلبه محمد بن إبراهيم وأمر مناديًا فنادى بمكة: من جاء بسفيان فله كذا وكذا، فلم يزل متواريًا بمكة لا يظهر إلا لأهل العلم ومن لا يخافه، قالوا: فلما خاف سفيان بمكة من الطلب خرج إلى البصرة فقدمها فنزل قرب منزل يحيى بن سعيد القطان، فقال لبعض أهل الدار: أما قربك أحد من أصحاب الحديث؟ قالوا: بلى، يحيى بن سعيد، قال: جئني به، فأتاه به، فقال: أنا هنا منذ ستة أيام أو سبعة، فحوله يحيى إلى جواره وفتح بينه وبينه بابًا، وكان يأتيه بمحدثي أهل البصرة يسلمون عليه ويسمعون منه، وكان فيمن أتاه جرير بن حازم والمبارك بن فضالة وحماد بن سلمة ومرحوم العطار وحماد بن زيد وغيرهم، وأتاه عبدالرحمن بن مهدي ولازمه، فكان يحيى وعبدالرحمن يكتبان عنه تلك الأيام، وكلَّمَا أبا عوانة أن يأتيه فأبى، وقال: رجل لا يعرفني كيف آتيه؟ وذاك أن أبا عوانة سلَّم عليه بمكة فلم يرد عليه سفيان السلام، وكُلم في ذلك فقال: لا أعرفه.

ولما تخوف سفيان أن يشهر بمقامه بالبصرة قرب يحيى بن سعيد، قال له: حولني من هذا الموضع، فحوله إلى منزل الهيثم بن منصور الأعرجي من بني سعيد بن زيد مناة بني تميم فلم يزل فيه، فكلمه حماد بن زيد في تنحيه عن السلطان وقال: هذا فعل أهل البدع، وما تخاف منهم، فأجمع سفيان وحماد على أن يقدما بغداد.

وفاته:

قال ابن المديني: أقام سفيان في اختفائه نحو سنة، وقال ابن مهدي: مرض سفيان بالبطن فتوضأ تلك الليلة ستين مرة، حتى إذا عاين الأمر نزل عن فراشه فوضع خده بالأرض، وقال: يا عبد الرحمن، ما أشد الموت، ولما غمضته وجاء الناس في جوف الليل وعلموا، وقيل: اخرج بجنازته على أهل البصرة بغتة، فشهده الخلق وصلى عليه عبد الرحمن بن عبد الملك بن أبجر الكوفي بوصية من سفيان لصلاحه، وكان موته في شعبان سنة إحدى وستين ومائة.

قال أبو أسامة: لقيت يزيد بن إبراهيم صبيحة الليلة التي مات فيها سفيان، فقال لي: قيل لي الليلة في منامي: مات أمير المؤمنين، فقلت للذي يقول في المنام: مات سفيان الثوري؟ قال: نعم.

قال يوسف بن أسباط: رأيت الثوري في النوم، فقلت: أي الأعمال وجدت أفضل؟ قال: القرآن، فقلت: الحديث، فحول وجهه.

قال مصعب بن المقدام: رأيت النبي ﷺ في النوم آخذًا بيد سفيان الثوري وهو يجزيه خيرًا.

قال أبو سعيد الأشج: حدثنا إبراهيم بن أعين قال: رأيت سفيان بن سعيد فقلت: ما صنعت؟ قال: أنا مع السفرة الكرام البررة.

رحمه الله، وجمعنا به في جنات النعيم.

مصادر هذه الترجمة:

١- تهذيب التهذيب.
٢- تاريخ بغداد.
٣- سير أعلام النبلاء.

أسباب النصر الموعود على شرذمة اليهود

الحلقة الثالثة

بقلم: د. الوصيف علي حزة

استكمالاً لأسباب نصر الأمة على عدوها نقول وبالله التوفيق:

ومن هذه الأسباب:

٥- الدعاء:

وهو ما يُدعى به الله من القول وما يتوجه به العبد إلى ربه للثناء عليه وطلب ما ينفعه ودفع ما يضره.

قال تعالى: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ [غافر: ٦٠].

قال تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي وَلْيُؤْمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ [البقرة: ١٨٦]، وما من نبي إلا دعا الله جل وعلا في مواجهة الصلف الوثني من أمته، كدعوة نوح وموسى ويونس ولوط وسليمان وأيوب وخاتمهم محمد ﷺ.

ففي غزوة بدر الكبرى لما التقى الجمعان وتميز الفريقان وخطبت السيوف على منابر الرقاب واحمرت الحدق، وقف رسول الله ﷺ في عريشه وقد رفع يديه إلى السماء متضرعًا سائلاً الله النصر والعون على عدوه، وهو يقول: «اللهم أنجز لي ما وعدتني، اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام فلا تُعبد في الأرض أبدًا». قال ابن عباس: فمازال يستغيث ربه ويدعوه حتى سقط رداؤه عن منكبيه، فأتاه أبو بكر فأخذ رداءه فَرَدَّه ثم التزمه من ورائه، ثم قال: يا نبي الله، كفاك مناشدتك ربك فإنه سينجز لك ما وعدك، فأنزل الله تعالى: ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلاَئِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴾ [الأنفال: ٩]، فخرج وهو يقول: ﴿سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ﴾. «فتح الباري» (٣٣٥/٧).

فإذا ضم المسلمون هذا السبب العظيم إلى الأسباب الأخرى وجمعوا الهمة بالدعاء وصدق الالتجاء إلى الملك الوهاب ظهرت بشائر النصر وانبلج الصبح من دياجير الظلام، ومن ذلك قوله تعالى في حق نوح عليه السلام: ﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانتَصِرْ. فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاء بِمَاء مُّنْهَمِرٍ. وَفَجَّرْنَا الأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ. وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ. تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ﴾ [القمر: ١٠- ١٤].

فجعل الله دعوة نوح عليه السلام سببًا في حصول الطوفان، فعلت المياه قمم الجبال، ونجاه الله في السفينة وأغرق من سوى المؤمنين، فكانوا من الهالكين. فكن أخي المسلم من الدعاء على ذكر، فهو سلاح المؤمنين، وما أحوجنا إليه في هذه الأيام الحالكة التي اجتمعت علينا فيها الأمم من أقطارها.

٦- التقوى:

ومعناها حفظ الشيء مما يؤذيه ويضره وهي جعل النفس في وقاية مما يُخاف. «الراغب الأصفهاني» (ص٨٨١).

وقد أنزل الله في كتابه قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَواْ وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾ [النحل: ١٢٨]. فهذه المعية معية تأييد ونصر، ولهذا قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا. وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٢، ٣].

ولما كان رسول الله ﷺ أخشى هذه الأمة لله وأتقاهم لله؛ نصره الله على عدوه، ومكنه بعد ذلك من رقابهم، قال تعالى: ﴿إِلاَّ تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لاَ تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُواْ السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٤٠].

وكان عمر رضي الله عنه إذا ودع جيشًا قال لهم: إنما تنصرون على عدوكم بطاعتكم لله ومعصية أعدائكم له، فإن تساويتم في المعصية غلبوكم بالعدد والعدة، فلنتق الله تعالى، فإن فعلنا نصرنا الله كما نصر رسوله ﷺ.

٧- الصبر والثبات:

الصبر: الإمساك في ضيق، يُقال: صبرتُ الدابة: أي حبستها بلا علف، وهو حبس النفس على ما يقتضيه العقل والشرع أو عما يقتضيان حبسها عنه وهو في الحرب شجاعة. «الراغب الأصفهاني» (ص ٤٧٤).

ومن حكمة الله جل وعلا في الخلق أن يبتليهم، فإن صبروا على ما ابتلاهم به مكنهم، كما وقع للأنبياء والخلفاء الراشدين والأئمة المهديين، قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة: ٢٤].

وقال تعالى في ذلك: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمَوَالِ وَالأنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ. الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُواْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعونَ. أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٥٥- ١٥٧].

الابتلاء... والتمكين!!

(سأل رجل الشافعي فقال: يا أبا عبد الله، أيما أفضل للرجل: أن يُمكَّن أو يُبتلى؟ فقال الشافعي: لا يمكَّن حتى يبتلى، فإن الله ابتلى نوحًا وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمدًا صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، فلما صبروا مكنهم، فلا يظن أحد أن يخلص من الألم البتة). اهـ. «الفوائد» (٢٢٧).

وقال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاء وَالضَّرَّاء وَزُلْزِلُواْ حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾ [البقرة: ٢١٤].

(وذلك أن النفس لا تزكو وتصلح حتى تمحص بالبلاء، كالذهب الذي لا يخلص جيده من رديئه حتى يفتن في كير الامتحان؛ إذ كانت النفس جاهلة ظالمة، وهي منشأ كل شر يحصل للعبد). اهـ. ابن القيم في «الفوائد» (٢٢٩).

ولهذا ابتلي الرسول الله ﷺ في مقاطعة قريش لمدة عامين في شعب أبي طالب، فصبر، وابتلي بملاحقة المشركين له في الهجرة، وابتلي في بدر بحرب قريش، وابتلي في أُحد فكسرت رباعيته وشج وجهه وقتل عمه وخيرة أصحابه، فصبر على فقدهم، وحاصره المشركون في غزوة الأحزاب، حتى قال الله فيه وفي الصحابة: ﴿إِذْ جَاءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتْ الأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا. هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالاً شَدِيدًا﴾ [الأحزاب: ١٠، ١١].

ومع هذه المواقف العصيبة صبر الرسول الكريم ﷺ هو وأصحابه، وتميز المنافقون وظهرت معادن الرجال، قال تعالى: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً﴾ [الأحزاب: ٢٣]، فكان النصر حليفهم والتمكين في الأرض حظهم، فأقاموا الصلاة، وآتوا الزكاة، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الأُمُورِ﴾ [الحج: ٤١].

ولذلك ارتبط النصر بالصبر في حديث رسول الله ﷺ: «واعلم أن النصر مع الصبر، وأن الفرج مع الكرب، وأن مع العسر يسرًا...». رواه الترمذي، وقال: حسن صحيح.

وقد أمرنا الله تعالى بالثبات عند لقاء العدو، فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُواْ وَاذْكُرُواْ اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلَحُونَ﴾ [الأنفال: ٤٥].

ولما كان الثبات يحتاج إلى قوة في القلب، فإن هذه القوة لا بد أن يغذيها ذكر الله تعالى، فتثبت ويظهر لها من رباطة الجاش وصدق العزيمة وقوة اليقين ومضاء الهمة ما يجعله الله سببًا في النصر بإذن الله تعالى.

وفي غزوة بدر- فيما روى مسلم في صحيحه- قال النبي ﷺ: «والذي نفس محمد بيده لا يقاتلهم اليوم رجل فيقتل صابرًا محتسبًا مقبلاً غير مدبر إلا أدخله الله الجنة». وقال وهو يحضهم على القتال: «قوموا إلى جنة عرضها

السماوات والأرض». وحينئذ قال العمير بن الحمام: بخٍ بخٍ. فقال رسول الله ﷺ: ما يحملك على قولك: «بخٍ بخٍ؟». قال: لا والله يا رسول اللهُ إلا رجاء أن أكون من أهلها، قال: «فإنك من أهلها». فأخرج تمرات من قرنه، فجعل يأكل منهن، ثم قال: لئن أنا حييت حتى آكل تمراتي هذه إنها لحياة طويلة، فرمى بما كان معه من التمر ثم قاتلهم حتى قُتل.

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ﴾ [آل عمران: ٢٠٠]، أي احبسوا أنفسكم على العبادة وجاهدوا أهواءكم، والمصابرة هي الملازمة والاستمرار على ذلك على الدوام ومقاومة الأعداء في جميع الأحوال، والمرابطة هي لزوم المحل الذي يخاف من وصول العدو منه، وأن يراقبوا أعداءهم ويمنعوهم من الوصول إلى مقاصدهم لعلهم يفلحون، ويفوزون بالمحبوب الديني والدنيوي والأخروي. وبذلك يتضح أثر الصبر في حسم المعارك الفاصلة.

وما أحوج المسلمين إلى الصبر في هذه الأيام الرمضاء التي كشف الأعداء عن وجوههم الكالحة، فهذا الرئيس الأمريكي يعلن بغطرسة القوة أنه سيقود حملة صليبية ضد أفغانستان، وذلك بعد حادث المركز العالمي للتجارة والبنتاجون.

ثم استفاق من هول الصدمة ورأى أنه بحاجة إلى معاونة البلاد العربية والإسلامية، وأُشير عليه أن يتودد للمسلمين، فقام بزيارة المركز الإسلامي بواشنطن، وأثنى على الإسلام وسماحته، وقال: إنني سأحارب الإرهاب وليس الإسلام، ثم أعلنها صريحة: «من ليس معي في هذا التحالف فهو مع الإرهاب»!! ويذكرنا ذلك بما صنعه نابليون بونابرت لما أراد غزو مصر عام ١٧٩٨م، فقد قام بطبع أربعة آلاف منشور يخاطب فيها أهل مصر، وقد ذكر الجبرتي نص البيان في «تاريخه» (٢٠٦٥/٣- وما بعدها) وخلاصته: بسم الله الرحمن الرحيم، لا إله إلا الله، لا ولد له، ولا شريك له في ملكه، من طرف الفرنساوية المبني على أساس الحرية والتسوية، السير عسكر الكبير أمير الجيوش الفرنساوية بونابرت، يعرف أهالي مصر جميعهم أن الحكام المماليك الذين يتسلطون في البلاد المصرية ويفسدون في الإقليم الحسن الأحسن الذي لا يوجد مثله في كرة الأرض فأما رب العالمين القادر على كل شيء فإنه قد حكم على انقضاء دولتهم، يا أيها المصريون، قد قيل لكم إنني ما نزلت بهذا الطرف إلا بقصد إزالة دينكم، فذلك كذب صريح، فلا تصدقوه... إلى أن يقول: وإنني أكثر من المماليك أعبد الله سبحانه وتعالى وأحترم نبيه والقرآن العظيم... ثم يقول: قولوا لأمتكم: إن الفرنساوية هم أيضًا مسلمون مخلصون. اهـ. بتصرف.

فها أنت ترى أخي القارئ الكريم الأسلوب نفسه يتكرر، ولكن الضحايا لا يعقلون ولا يعون، وذاكرة الأمة نسيت- أو تناست- فقد دخل الإنجليز مصر عام ١٨٨٢م للقضاء على إرهاب عرابي، على أن يخرجوا بعد ستة أشهر، فظلوا جاثمين على صدورنا طيلة سبعين سنة، بعد أن نهبوا خيرات البلاد، ولم يخرجوا إلا بتضحيات عظيمة، وما مشكلة فلسطين إلا بسبب الإنجليز الذين احتضنوا اليهود ومكنوهم ظلمًا وعدوانًا من ديارنا ومقدساتنا وعاونهم على ذلك الأمريكان.

قميص الإرهاب!!

يحمل الأمريكان اليوم هذا القميص ويدعون العالم إلى التحالف معهم للخلاص من الإرهابيين، وكل دولة عاصية لا تمشي في ركاب الغرب ستُتَّهم بهذا القميص، وإلا فليوضحوا لنا حدود هذا الإرهاب وضوابطه، وإذا كانوا قد وصموا الفلسطينيين المدافعين عن أنفسهم وديارهم بهذا الوصف، فبماذا نسمي شارون الوالغ في دماء الأطفال والنساء في صبرا وشاتيلا، والتي قتل في ليلة واحدة ثلاثة آلاف طفل وامرأة وشيخ، ولم يعبأ بأنات الثكالى ولا توسلات الأطفال، والغرب صامت يلوم الضحايا ويؤيد المعتدي!!

والعجيب أن كثيرًا من الدول تسارع إلى هذا التحالف رغبًا ورهبًا: ﴿فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَن تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللّهُ أَن يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِ فَيُصْبِحُواْ عَلَى مَا أَسَرُّواْ فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ﴾ [المائدة: ٥٢].

الجزاء من جنس العمل

إن ما حدث في أمريكا من اعتداء على المدنيين أمر لا يقره الإسلام، وهذا حق؛ لأن رسولنا ﷺ نهى جيوشه عن قتل المرأة، والوليد، والشيخ، والراهب في صومعته، ولكن ما حدث إنما هو بسبب اختلال ميزان العدل في أمريكا، فرأت المعتدي بريئًا، والمعتَدَى عليه مجرمًا، وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في غير موضع من فتاواه قوله: إن الله ينصر الدولة العادلة ولو كانت كافرة، ولا ينصر الدولة الظالمة ولو كانت مسلمة.

فقد يكون ما حدث إنذارا إلهيًا إلى الأمة الأمريكية لتعود إلى العدل، فإن أصرت على الظلم- وأظنها ستفعل- فهذا بداية النهاية، قال تعالى: ﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ﴾ [الأعراف: ٣٤]، وقال تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْقُرَى أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا﴾ [الكهف: ٥٩].

أسأل الله تعالى أن ينصر الأمة على أعدائها، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وللحديث بقية إن شاء الله.

○○○

النظر إلى التلفاز

بقلم: أيمن محمد الصيحي

إن النظر إلى التلفاز أخطر من السرطان والإيدز ومن كل الأمراض والبلايا؛ لأن هذه الأمراض تقتل بدنك، ولكن التلفاز يقتل دينك.

اعلم يا أخي أن النظر إلى التلفاز من أشر الشرور ومن أعظم أسباب تلف القلب، فماذا ترى في التلفاز أكثر من النساء المتبرجات؟ قال تعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾، وقال عز وجل: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾، وقال رسول الله ﷺ: «ما تركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء». وقال ﷺ: «النظرة سهم من سهام إبليس، من تركها مخافة الله أبدله الله حلاوة يجد أثرها في قلبه». أو كما قال ﷺ.

والنظر إلى التلفاز يورث الكسل عن الصلاة والكسل عن ذكر الله وعن الطاعات، ولقد قال الله جل في علاه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا. وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً﴾، وقال عز وجل: ﴿وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾.

والنظر إلى التلفاز سبب الخوض في الشهوات والإعراض عن ذكر الله، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾.

والنظر إلى التلفاز يورث الفتنة وإثارة الشهوة ويعلم القصص الغرامية والعلاقات الفاسدة، فإن التلفاز يجعلك تستهين بما حرم الله عز وجل؛ لأنك تصوب نظرك إليه متعمدًا لترى، وتتوالى الأحداث والمشاهد أمامك تجذبك جذبًا للنظر إليها وتنسى أن الله عز وجل ينظر إليك ويحصي عليك نظراتك، ولكن من كثرة النظر إلى ما حرم الله عز وجل لم تعد تميز الحرام من الحلال، ولا أمل في إحياء هذه القلوب ولا أمل في النجاة إلا بالإقلاع عن التلفاز الذي أفسد علينا ديننا وأهدر رجولتنا، ترى الفتى يجلس إلى جانب أخته يشاهدان المشاهد المخجلة معًا ولا يحرك ساكنًا ولا يغار، وترى الرجل يجلس بين زوجته وأولاده، ويرى الزنا أو مقدماته وهو مقيد على مقعده؛ قيدته ذنوبه ومعاصيه، قال ﷺ: «لا يدخل الجنة ديوث». والديوث هو الذي يرى الخبث في أهل بيته ويرضى، وقال ﷺ: «يمسخ قوم من هذه الأمة في آخر الزمان قردة وخنازير». قالوا: يا رسول الله، أليس يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله؟ قال: «بلى، ويصلون ويحجون». قالوا: فما لهم؟ قال: «اتخذوا المعازف والدفوف والقينات (المغنيات) فباتوا على شربهم ولهوهم، فأصبحوا وقد مسخوا قردة وخنازير».

إن النظر إلى التلفاز من أشر الشرور، ومن أعظم أسباب تلف القلب. وإن النظر إلى التلفاز أخطر من السرطان والإيدز، إن النظر إلى التلفاز مهلكة.

نسأل الله العفو والعافية، في الدنيا والآخرة.

الفتاوى

يجيب عليها
لجنة الفتوى
بالمركز العام

الشيخ: محمد صفوت نور الدين

د. جمال المراكبي

شارك فى الإجابة

الشيخ: زكريا حسيني

للرجل أن يستمتع بجسد زوجته كله!!

يسأل: أ. م- الإسكندرية:

عما يباح للرجل من زوجته وما يحظر عليه منها؟

■ **الجواب**: للرجل الاستمتاع بجسد زوجته كله بمباشرة (احتضان، أو تقبيل، أو لمس أو نظر)، كما يباح له جماعها في الفرج.

ويحظر عليه إتيانها في الدبر، وجماعها في الفرج إذا كانت حائضًا أو نفساء، كما يحظر الجماع عند صيامها للفرض، سواء كان في رمضان أو كان الصيام نذرًا أو كفارة، كذلك إذا كانت مُحْرِمةً بحجٍ أو عمرة، أو كان مظاهرًا منها حتى يكفرّ كفارة الظهار. والله أعلم.

حكم صلاة الجماعة!!

ويسأل: ج. ف. م- مطاي محافظة المنيا:

هل يجوز الصلاة في البيت من أجل طلب العلم النافع؟ مع توجيه النصائح في طلب العلم، وما الذي يبدأ به بعد حفظ القرآن الكريم؟

■ **الجواب**: أولاً: ما ذكره ابن مسعود رضي الله عنه كما ورد في صحيح مسلم رحمه الله: «من سره أن يلقى الله غدًا مسلمًا فليحافظ على هؤلاء الصلوات حيث ينادى بهن، فإن الله شرع لنبيكم ﷺ سنن الهدى، وإنهن من سنن الهدى، ولو أنكم صليتم في بيوتكم كما يصلي هذا المتخلف في بيته لتركتم سنة نبيكم، ولو تركتم سنة نبيكم لضللتم، وما من رجل يتطهر فيحسن الطهور ثم يعمد إلى مسجد من هذه المساجد إلا كتب الله له بكل خطوة يخطوها حسنة ويرفعه بها درجة، ويحط عنه بها سيئة، ولقد رأيتنا وما يتخلف عنها إلا منافق معلوم النفاق، ولقد كان الرجل يؤتى به يهادى بين الرجلين حتى يقام في الصف».

ونُذَكِّر بما في الصحيحين من هَمِّ النبي ﷺ أن يحرق بيوت المتخلفين عن الجماعة، وحديث النبي ﷺ من رواية ابن عمر وأبي سعيد وأبي هريرة من تفضيل الجماعة على صلاة الفرد بخمسة وعشرين ضعفًا أو بسبع وعشرين درجة، وحديث أبي موسى: «أعظم الناس أجرًا في الصلاة أبعدهم ممشًى». وغير ذلك مما يدل على وجوب الجماعة على المستطيع.

ثانيًا: يبدأ طالب العلم بما يصحح به اعتقاده وتعبده، ثم بعد حفظ القرآن الكريم يتعلم لغته ويقوم بها لسانه وفهمه، ثم يشرع في تعلم مسائل الاعتقاد بدراسة كتاب على يد شيخ متقن، ثم يجتهد في علم الفقه وأصوله، ويمكنه مراجعة كتاب «حلية طالب العلم» للشيخ بكر بن عبد الله أبو زيد.

الفـــائدة على أنواع القـــروض كلهـــا ربا!!

ويسأل: محمد محمد مطاوع- كفر الشيخ:

عن قـروض جـهـاز تنمـيـة المشـروعـات الصغيرة والتي تقدم بفائدة ٧٪ للمشروعات الجديدة، و٩٪ للمشروعات القائمة بالفعل.

■ **الجواب** : ما جاء في وصايا مجمع البحوث الإسلامية، وقد قرر المؤتمر بشأن المعاملات المصرفية ما يلي:

١- الفائدة على أنواع القروض كلها ربًا محرم، لا فرق في ذلك بين ما يسمى بالقرض الاستهلاكي والقرض الإنتاجي؛ لأن نصوص الكتاب والسنة في مجموعها قاطعة في تحريم النوعين.

٢- كثير الربا وقليله حرام، كما يشير إلى ذلك الفهم الصحيح في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَأْكُلُواْ الرِّبَا أَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً...﴾ [آل عمران: ١٣٠].

٣- الإقراض (الإعطاء) بالربا محرم لا تبيحه حاجة ولا ضرورة، والاقتراض (الأخذ) بالربا محرم كذلك، ولا يرتفع إثمه إلا إذا دعت إليه الضرورة، وكل امرئ متروك في دينه لتقدير ضرورته.

صدر ذلك في المؤتمر الثاني لمجمع البحوث الإسلامية المنعقد في المحرم سنة ١٣٨٥هـ، مايو سنة ١٩٦٥م.

نزول الدم ليس شرطًا في تحقق وجود البكارة!!

ويسأل: م. م- بالرياض:

عن الزوج يدخل بزوجته فلا يرى دمًا عند فض بكارتها، بم تنصحونه مأجورين؟

■ **الجواب** : إن غشاء البكارة غشاء رقيق به شعيرات دموية تسمح بنزول دم الحيض، وله صور متعددة، منها المطاطي الذي لا يزول بمجرد الإيلاج، ومنها النوع السميك جدًا لدرجة أنه يحتاج إلى جراحة لفضه عند الزواج، كما قرر ذلك كثير من الأطباء.

وبناءً عليه، فليس نزول الدم شرطًا في التحقق من وجود البكارة، ويمكن للأخ السائل أن يراجع الطبيب المتخصص في ذلك. والله أعلم.

مواريث

يسأل السائل: محمد وهبة- منيا القمح شرقية:

يقول: توفيت امرأة ليس لها أولاد وتركت زوجًا وأختين لأمها وأبناء أخويها المتوفين، أحدهما له ثلاثة أولاد، والثاني له ولد، وتملك هذه المرأة قطعة أرض قدرها أحد عشر قيراطًا ونصف، فكيف نقسمها كميراث؟

■ **الجواب** : للزوج النصف فرضًا لعدم وجود فرع وارث؛ لقول الله تعالى: ﴿وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٌ﴾، وللأختين من الأم الثلث فرضًا؛ لقول الله تعالى: ﴿وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلاَلَةً أَو امْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ فَإِن كَانُوَاْ أَكْثَرَ مِن ذَلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ﴾، وباقي التركة يوزع على أولاد الأخوين الذكور تعصيبًا وعددهم أربعة يقسم بينهم بالتساوي، حيث إنهم في درجة واحدة، قال رسول الله ﷺ: «ألحقوا الفرائض بأهلها، فما بقي فلأولى رجل ذكر». متفق عليه.

ويسأل سائل:

مات رجل وترك زوجتين وبنتًا وأخوين شقيقين وأختًا شقيقة، فمن يرث ومن لا يرث، وما نصيب كل وارث؟

■ **الجواب** : للزوجتين الثمن فرضًا؛ لوجود الفرع الوارث؛ لقول الله تعالى: ﴿وَلَهُنَّ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّكُمْ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُم مِّن بَعْدِ وَصِيَّةٍ...﴾، وللبنت النصف فرضًا؛ لقول الله تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ اللّهُ فِي أَوْلاَدِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنثَيَيْنِ فَإِن كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِن كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ﴾.

والباقي يقسم بين الإخوة والأخوات للذكر مثل حظ الأنثيين؛ لقول الله تعالى: ﴿وَإِن كَانُواْ إِخْوَةً رِّجَالاً وَنِسَاءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنثَيَيْنِ يُبَيِّنُ اللّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّواْ وَاللّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾.

حكم الاحتفال بليلة النصف من شعبان

□ س: ما حكم إظهار الفرح والسرر بعيد الفطر وعيد الأضحى؟ وبليلة السابع والعشرين من رجب؟ وليلة النصف من شعبان؟ ويوم عاشوراء؟

■ **الجواب** : أما إظهار الفرح والسرر في أيام العيد (عيد الفطر أو عيد الأضحى) فإنه لا باس به إذا كان في الحدود الشرعية، ومن ذلك أن ياتي الناس بالأكل والشرب وما أشبه هذا، وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «أيام التشريق أيام أكل وشرب وذكر لله عز وجل» يعني بذلك الثلاثة الأيام التي بعد عيد الأضحى المبارك وكذلك في العيد، فالناس يضحون وياكلون من ضحاياهم ويتمتعون بنعم الله عليهم، وكذلك في عيد الفطر لا باس بإظهار الفرح والسرور ما لم يتجاوز الحد الشرعي.

أما إظهار الفرح في ليلة السابع والعشرين من رجب أو ليلة النصف من شعبان، أو في يوم عاشوراء، فإنه لا أصل له وينهى عنه ولا يحضر الإنسان إذا دعي إليه؛ لقول النبي ﷺ: «إياكم ومحدثات الأمور، فإن كل بدعة ضلالة». فاما ليلة السابع والعشرين من رجب فإن الناس يدعون أنها ليلة المعراج التي عرج بالرسول ﷺ فيها إلى الله عز وجل، وهذا لم يثبت من الناحية التاريخية، وكل شيء لم يثبت فهو باطل، والمبني على الباطل باطل، ثم على تقدير ثبوت أن ليلة المعراج ليلة السابع والعشرين من رجب، فإنه لا يجوز لنا أن نحدث فيها شيئًا من شعائر الأعياد أو شيئًا من العبادات؛ لأن ذلك لم يثبت عن النبي ﷺ وأصحابه، فإذا كان لم يثبت عمن عرج به ولم يثبت عن أصحابه الذي هم أولى الناس به وهم أشد الناس حرصًا على سنته وشريعته، فكيف يجوز لنا أن نحدث ما لم يكن على عهد النبي ﷺ في تعظيمها ولا في إحيائها، وإنما أحياها بعض التابعين بالصلاة والذكر لا بالأكل والفرح وإظهار شعائر الأعياد.

وأما يوم عاشوراء فإن النبي ﷺ سئل عن صومه فقال: «يكفر السنة الماضية» يعني التي قبله وليس في هذا اليوم شيء من شعائر الأعياد، وكما أنه ليس فيه شيء من شعائر الأعياد فليس فيه شيء من شعائر الأحزان أيضًا، فإظهار الحزن أو الفرح في هذا اليوم كلاهما خلاف السنة ولم يرد عن النبي ﷺ في هذا اليوم إلا صيامه، مع أنه عليه الصلاة والسلام أمر أن نصوم يومًا قبله أو يومًا بعده حتى نخالف اليهود الذين كانوا يصومونه وحده.

تخرج الزكاة من جنس ما ينتفع به

□ س: في مصر يوجد بلح، ومعلوم أن زكاة الرزوع تجب في التمر بالإجماع، والبلح في مصر يباع قبل أن يتتمر، بعضه يكون رطبًا، وبعضه يكون بلحًا أحمر أو أصفر، فما الواجب على أهل الزروع؟ كذلك العنب لا يكون زبيبًا ولا يتركه أصحابه يتزبب، وكذلك التين لا ينشف، فما الواجب على أهل الزروع في هذه الحالة؟

■ **الجواب** : الواجب أن يخرجوا زكاتهم، فيخرجوا عن البلح بلحًا، والرطب رطبًا، وعن التمر تمرًا، ما دام الناس ياكلونه، كذلك لعموم قوله ﷺ: «وفيما سقي بالسماء العشر وفيما سقي بالنضح نصف العشر»، ولأن هذا هو المواساة بين المالك وأهل الزكاة، وإن كان كثير من العلماء يرى أنه لا بد أن تكون الزكاة تمرًا فيخرج هذا البلح أو الرطب بما يؤول إليه تمرًا، ولكن الأقرب ما ذكرته من أن تخرج الزكاة من جنس ما ينتفع به من هذه الثمار، سواء كانت ثمار النخل أو ثمار العنب أو ثمار التين.

أجاب عليها
سماحة الشيخ : ابن عثيمين رحمه الله

زكاة الزروع

☐ **س: في مصر ينفق الزارع على زراعته المال الكثير، وفي بعض الأحيان يقترض مالاً لينفق على الزراعة، فإذا أخرجت الأرض النصاب يفي الدين وحاجات عياله، فهل يجب عليه زكاة لوصفه مالاً ظاهراً؟**

■ **الجواب** : نعم تجب عليه الزكاة لوصفه مالاً ظاهرًا لعموم الأدلة الدالة على وجوب الزكاة في الثمار إذا بلغت النصاب، وأما الدين فإنه متعلق بالذمة، بدليل أنه إذا تلفت هذه الثمار لم يسقط الدين، فيزكي ثماره وزروعه التي تجب فيها الزكاة فيعينه الله تبارك وتعالى على ما حصل في ذمته من الدين. ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا. وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٢، ٣]، و ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا﴾ [الطلاق: ٤].

يجب على التجار الزكاة في رأس المال والربح؟!

☐ **س: بعض أصحاب الشركات ورؤوس الأموال يعتقدون أن الزكاة لا تجب إلا في الأرباح، فإذا خسرت التجارة لا يخرج زكاة ماله مع أن رأس المال الباقي يبلغ النصاب ويقول كيف أخرج الزكاة وأنا قد خسرت في التجارة، فأنا من أهل الزكاة لا أدفع الزكاة، فما قول فضيلتكم لهؤلاء؟**

■ **الجواب** : أنه يجب على هؤلاء الزكاة في رأس المال والربح، ولا بد من هذا، وإذا خسرتم فإن بقي ما يبلغ النصاب وجب عليكم زكاته، وإن بقي دون النصاب لم يجب عليكم الزكاة.

حكم إزالة أو تقصير بعض الزوائد من الحاجبين

☐ **س: ما حكم إزالة أو تقصير بعض الزوائد من الحاجبين؟**

■ **الجواب** : إزالة الشعر من الحاجبين إن كان بالنتف فإنه هو النمص، وقد لعن النبي ﷺ النامصة والمتنمصة وهو من كبائر الذنوب، وخص المرأة لأنها هي التي تفعله غالبًا للتجمل.

وإلا فلو صنعه رجل لكان ملعونًا كما تلعن المرأة، والعياذ بالله، وإن كان بغير النتف بالقص أو بالحلق فإن بعض أهل العلم يرون أنه كالنتف لأنه تغيير لخلق الله، فلا فرق بين أن يكون نتفًا أو يكون قصًا أو حلقًا، وهذا أحوط بلا ريب، فعلى المرء أن يتجنب ذلك سواء كان رجلاً أو امرأة.

حكم قص الشعر للنساء

☐ **س : ما حكم قص الشعر للنساء؟**

■ **الجواب** : قص شعر راس المراة إن قصته حتى يكون كهيئة راس الرجل؛ فإن ذلك حرام ومن كبائر الذنوب؛ لأن النبي ﷺ لعن المتشبهات من النساء بالرجال.

وأما إن قصته قصًا لا يصل إلى هذا الحد، فإن فيه خلافًا بين أهل العلم، والمشهور من مذهب الإمام أحمد أنه مكروه، فيكره لها أن تقص شيئًا من شعر رأسها، سواء من المقدمة أو المؤخرة ما لم يصل إلى حد يكون مماثلاً لراس الرجل، فيكون حرامًا.

وكذلك إذا قصته على وجه يشبه رؤوس الكافرات فإنه حرام؛ لقول النبي ﷺ: «من تشبه بقوم فهو منهم».

الحيض لا ينجس البدن

هل يلزم الحائض تغيير ملابسها بعد طهرها، مع العلم أنه لم يصبها دم ولا نجاسة؟

■ **الجواب** : لا يلزمها ذلك؛ لأن الحيض لا ينجس البدن، وإنما دم الحيض ينجس مالاقاه فقط، ولهذا أمر النبي ﷺ النساء إذا أصاب ثيابهن دم حيض أن يغسلنه ويصلين في ثيابهن.

كُتبٌ حذَّر منها العلماء

من كتاب:
لأبي عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان

«تاريخ خلافة بني أمية»

للدكتور نبيه عاقل:

هذا الكتاب جانَب فيه المؤلف الصواب في كلامه عن تاريخنا الإسلامي، وقد ملأه بالأخطاء التاريخية، بل نستطيع القول: إنه استعمل الدس الصريح والطعن المباشر للرسول ﷺ والصحابة رضوان الله عليهم، مما يقوِّي احتمال وجود هذا الاتجاه عند الدكتور، وليس هو مجرد خطأ وقع فيه.

ونستطيع حصر الأخطاء ومواطن الطعن في هذا الكتاب في الأمور التالية:

أولاً: اعتماد المؤلف على التفسير الشيوعي الماركسي في تفسير أحداث التاريخ الإسلامي.

ثانيًا: الطعن في الرسول ﷺ وفي المنهج الذي جاء به.

ثالثًا: الطعن في آل بيت الرسول ﷺ وتشويه صورتهم ومواقفهم.

رابعًا: تشويه التاريخ الإسلامي واختيار الفترات المظلمة لتدريسها.

خامسًا: اعتماد المؤلف على مراجع سيئة مغرضة بعيدة كل البعد عن النزاهة العلمية.

ومع هذا، فقد طبع هذا الكتاب أربع طبعات إلى سنة (١٤٠٣هـ)، وصدر عن دار الفكر- بيروت.

«التاريخ السياسي للدول العربية، عصر الخلفاء الأمويين»

للدكتور عبدالمنعم ماجد

كتاب مطبوع في جزء واحد، فيه طامات وأوابد، وإليك شذرات منه، ومن خلالها تستطيع الحكم عليه بأمانة وإنصاف:

في (ص ١٩٨): «وفجاة في سن الأربعين يملك محمد موهبة النبوة». وهذا التعبير وراءه إنكار نبوّة محمد ﷺ، ويفهم من كلام المؤلف في (ص ٩٩) أن القرآن من صنع محمد ﷺ؛ قال: «ومع ذلك؛ فلم يرد على لسان النبي في القرآن»، وقال في (ص ١٢٥): «وقد أناب فيه أبا بكر الصديق صديقه ليقرأ عليه سورة براءة التي يتبرأ فيها محمد ممن يحج من المشركين».

وزعم المؤلف أن الوحي كان يأتي محمدًا ﷺ وهو نائم؛ فقال (ص ٢٥٠): «إنه كان ينزل عليه وهو نائم»، وافترى أن النبي ﷺ كان هو الذي ينسخ القرآن، فيقول (ص ٢٥٠) عن النبي ﷺ: «كان ينسخ بعض الآيات ويأتي بأخرى محلها».

اللهم إنا نبرأ إليك من هذه الخزعبلات والترهات، ونُشهدك أننا قد حذرنا منها قومنا؛ فعسى أن ينتفعوا، وإن من المهانة بمكان أن يباع هذا الكتاب ويكون مرجعًا عند الباحثين والدارسين، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

تبصير الأذهان ببعض المذاهب والأديان

فِرَقٌ حذَّر منها العلماء

بقلم الشيخ: محمد السبيعي

الصوفية

تكلمنا كثيرًا عن الصوفية على صفحات مجلتنا الغراء، ولمزيد فائدة وللذكرى أعدنا الحديث عنها.

فهي حركة دينية انتشرتْ في العالم الإسلامي عقب اتساع الفتوحات وازدياد الرخاء الاقتصادي، كردةِ فعل مضادة للانغماس في الترف الحضاري، مما حمل بعضهم على الزهد الذي تطور بهم حتى صار لهم طريقة مميزة معروفة باسم الصوفية، إذ كانوا يتوخَّوْن تربية النفس والسمو بها بُغْية الوصول إلى معرفة الله بالكشف والمشاهدة، لا عن طريق التقليد أو الاستدلال، لكنهم جنحوا في المسار بعد ذلك حتى تداخلت طريقتهم مع فلسفات هندية وفارسية ويونانية مختلفة، ذهب ابن الجوزي البغدادي (ت ٥٩٧هـ) إلى أن الصوفية نسبة إلى رجل يقال له: صوفة، واسمه: «الغوث بن مر»، ظهر في العصر الجاهلي، وذهب غيره إلى أن الصوفية إنما هي اشتقاق من «سوفيا» اليونانية، والتي تعني الحكمة، وقيل: الصوفية من الصوف لاشتهارهم بلبسه. وقيل: من الصُفَّة، أي صُفَّةِ مسجد رسول الله ﷺ. وقيل: من الصَّفَا. وقيل: من الصف الأول. وأقوال أُخرى كثيرة.

ومن شخصياتهم المعروفة: أبو مغيث الحسين بن منصور الحلاج، أبو الفتوح شهاب الدين الشُّهْرَوردي، أبو حامد الغزالي، محيي الدين بن عربي الملقَّب بالشيخ الأكبر الذي يعتبر نفسه خاتم الأولياء، وُلد بالأندلس، ورحل إلى مصر، وحجَّ، وزار بغداد، واستقر في دمشق، حيث مات ودفن، وله فيها إلى الآن قبر يزار.

ومن أفكارهم ومعتقداتهم ما يلي:

- يعتقدون بأن الدين شريعة وحقيقة، والشريعة هي الظاهر من الدين، وأنها الباب الذي يدخل منه الجميعِ، والحقيقة هي الباطن الذي لا يصل إليه إلا المصطفَوْن الأخيار.

- لا بدَّ من الذكْر والتأمُّل الروحي، وتركيز الذهن في الملأ الأعلى، وأعلى الدرجات لديهم هي درجة الولي.

- لا بدَّ للتصوف من التأثير الروحي الذي لا يأتي إلا بواسطة الشيخ الذي أخذ الطريقة عن شيخه.

مدارس الصوفية:

مدرسة الزهد، مدرسة الكشْف والمعرفة، مدرسة وحْدة الوجود، مدرسة الاتحاد والحلول، وللصوفيَّة طرق عدَّة، منها:

- **القادرية:** تُنسَب إلى عبدالقادر الجيلاني المدفون في بغداد، حيث تزوره كلَّ عام جموعٌ كثيرة من أتباعه للتبرُّك به.

- **الرفاعية:** تُنسَب إلى أحمد الرفاعي (ت: ٥٨٠هـ) من بني رفاعة، قبيلة من العرب، وجماعته يستخدمون السيوف والحراب في إثبات الكرامات.

- **الأحمدية:** وتُنسب إلى أحمد البدوي (٥٩٦-٦٣٤هـ)، ولد بفاس ورحل إلى العراق، واستقرَ في طنطا بمصر حتى وفاته، له فيها ضريح مقصود، امتاز بالفروسية، عكف على العبادة وامتنع عن الزواجِ، وأتباعه منتشرون في جميع أنحاء مصر، وشارتهم العمامة الحمراء.

- **الدسوقية:** تُنسبِ إلى إبراهيم الدسوقي (٦٣٣- ٦٧٦هـ)، وطريقته تدعو إلى الخروج عن النفس وحظوظها، رأس مالهم المحبَّة لجميع الخلق، والتسليم والسكوت تحت مراد الشيخ وأمره، إنها تدعو إلى العلم والعمل به مع عدم استحباب الخلوة إلا إذا كانت بأمر من الشيخ.

- **الأكبرية:** نسبة إلى الشيخ الأكبر محيي الدين بن عربي.

- **الشاذلية:** نسبة إلى أبي الحسن الشاذلي (٥٩٣: ٦٥٦هـ)، ولد بقرب قرية مرسية، وانتقل إلى تونس، ودخل العراق، ومات في صحراء عيذاب في طريقه إلى الحجَّ.

- **البكداشية:** كان الأتراك العثمانيون ينتمون إلى هذه الطريقة، وهي ما تزال منتشرة في البانيا، كما أنها أقرب إلى التصوُّف الشيعي منها إلى التصوف السني، وكان لها دور بارز في نشر الإسلام بين الأتراك والمغول.

- **المولويَّة:** أنشأها الشاعر الفارسي جلال الدين الرومي (ت: ٦٧٢هـ)، والمدفون بقونية، يتميزون بإدخال الرقص والإيقاعات في حلقات الذكر، وقد انتشروا في تركيا وآسيا الغربية، ولهم بقايا في الأيام الحاضرة في حلب وبعض أقطار المشرق.

- **النقشبندية:** تُنسب إلى الشيخ بهاء الدين محمد بن محمد البخاري الملقّب بشاه نقشبند (٦١٨: ٦٩١هـ)، وهي طريقة سهلة كالشاذلية، انتشرت في فارس وبلاد الهند وآسيا الغربية.

- **الملامتية:** مؤسسها أبو صالح حمدون بن أحمد بن عمّار المعروف بالقصّار (ت: ٢٧١هـ)، أباح بعضهم مخالفة النفس بغْية جهادها ومحاربة نقائصها، وظهر الغُلاة منهم في تركيا حديثًا بمظهر الإباحية والاستهتار، وفعْل كلّ أمر دون مراعاة للأوامر والنواهي الشرعية.

ولا شكّ أن ما يدعو إليه الصوفيون من الزهد والورع والتوبة والرضا إنما هو من أمور الإسلام، والإسلام يحثُّ على التمسك بها والعمل من أجلها، لكنهم انحدروا إلى أمور منكرة، بل كُفْر وزندقة وبِدْعِيَّات وخزعبلات، وترانيم ورقْص وغناء وزوايا ومرابط، وضلالات كثيرة أضلُّوا بها الكثير من المسلمين، ونورد هنا شيئًا مما يقولون به ويعتقدونه:

- سلك بعضهم طريق تحضير الأرواح معتقدًا بأن ذلك من التصوف، كما سلك آخرون طريق الشعوذة والدَّجَل، وقد اهتموا ببناء الأضرحة وقبور الأولياء وإنارتها وزيارتها والتمسح بها، وكل ذلك من البدع التي ما أنزل الله بها من سلطان.

- وبعضهم يقول: الأعمال بالجوارح لا وزن لها، وإنما النظر إلى القلوب، وقلوبنا والِهَةٌ بحبِّ الله وواصلة إلى معرفة الله، وإنما نخوض في الدنيا بأيدينا وقلوبنا عاكفة في الحضرة الربانية، فنحن مع الشهوات بالظواهر لا بالقلوب.

- منهم من يؤمن بوحدة الوجود، وأن كل موجود هو الله، وأن الأولياء يديرون العالم ويتحكَّمون في الكون، كما يُنسب إلى التصوف ما يقوم به القوم من نحيبٍ وأنينٍ ورقص معين، وتمايل مَقِيت مصحوب بذكر الله أو الإنشاد، أو ترديد اسم من أسماء الله تعالى، أو مقطع من الاسم في إيقاع جماعي، فينقلب الأمر أحيانًا إلى الضدِّ، فيخرُّ الذاكر صريع غيبوبة يفنى فيها «كالنوم مغناطيسيًا»، أو تنتابه حالة من الوجْد فيصيح بالمنكر من الأصوات والحركات في سفافة وابتذال.

وهذه صورة من التصوف بلغتْ ذروتها المؤسفة في قول شاعرها الحلاَّج «الصوفي» الغارق في بحر العِشْق الإلهي، لا يفيق من نشوته التي تشهد بها أشعاره والتي لا تزال حتى اليوم تهزُّ قلوبًا، فيقول:

أنا مَنْ أهوى ومن أهوى أنا
نحنُ رُوحانِ حلَلْنا بدَنَا
فإذا أبصرتَني أبصرتَهُ
وإذا أبصرتَهُ أبصرْتَنا

وقولتُه الشهيرة: ما في الجبَّة إلا الله. وتجرُّؤه في قوله:

مُزِجتْ روحُك في رُوحي كما
تُمزَجُ الخمرةُ بالماءِ الزلالْ
فإذا مسك شيءٌ مسَّني
فإذا أنت أنا في كلّ حالْ

كما يستخدم الصوفيون ألفاظًا معينة مثل لفظ: «الغوْث والغِياث»، وبعضهم يقول عند اشتداد الذكر: «هو، هو» أو: «يا هو، يا هو» «رهيم، رهام».

- وذكر أن الصوفي إذا تقدَّم به السنُّ، رُفعت عنه التكاليف- كما يزعمون- من جميع العبادات، كالصلاة، والزكاة والصيام، وغيرها.

خدمة الصوفية للاستعمار:

- تقول الصوفية: «إذا سلَّط الله على قوم ظالمًا، فليس لأحدٍ أن يقاوم إرادة الله أو يتأفَّف منها». فلمّا عرف المستعمرون عن الصوفية هذا المعتقد، استغلّوه في مصالحهم، وحينما اقترب الجنود الفرنسيُّون من مدينة القيروان في تونس واستعد أهلُها للدفاع عنها، جاءوا يسألون إمامَ المسجد أن يستشير الضريح الذي في المسجد، فدخل الإمام سيد أحمد الهادي «الصوفي الفرنسي» الضريح، ثم خرج يقول: «إن الشيخ ينصحكم بالتسليم؛ لأن وقوع البلاد صار محتمًا». فاتَّبع القوم كلمته، ودخل الفرنسيون آمنين في ٢٦ أكتوبر ١٨٨١م، وخدمةُ الصوفية للاستعمار الفرنسي في مصر معروفة، وكذلك خدمتهم للإنجليز- والكلام عن مجلة التوحيد- السبب الحقيقي في هزيمة عرابي في مصر، فقد شغل أهلُ الصوفية الجنود في التل الكبير في أذكار حتى نصف الليل، ثم نام الجنود، فدخل الإنجليز الفجر، وحيث الأمر كذلك؛ فلا استغراب في دعم الاستعمار لمثل هذه الفِرَق، وتقريبِ مشايخها المحسوبين على الإسلام، والدفاع عنهم. وطرق الصوفية حسب آخر تعداد (عددها ٦٤ طريقة)، لو أنهم على هدًى، لماذا لا يتفقون على طريقة واحدة، ماداموا كلهم يدعون إلى الإسلام، كما يزعمون؟ أؤكد أنهم لا يفعلون ذلك ولن يفعلوا؛ لسبب واحد: هو أن لكل مشيخة دخولاً ومنتفعين، ومسائل أُخرى كلها تتعلق بالمال والأعمال وصناديقَ النذور.

إن شأن الصوفية- منذ القدم وحتى اليوم- إخراجُ الناس من عبادة الله إلى عبادة المشايخ، ومن التوحيد إلى الشرك وعبادة القبور، ومن السنة إلى البدعة، ومن العلم بالكتاب والسنة إلى تلقِّي البدع والخرافات ممَّن يدَّعون رؤية الله والملائكة والرسول والجنة. نعوذ بالله من الخذلان.

وقفات لابد منها

بقلم: أحمد سعد أبو النجا

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده... أمَّا بعد:

فيقول النبي ﷺ - فيما يرويه عنه ثوبان-: «يوشك الأمم أن تَدَاعى عليكم كما تَدَاعَى الأكَلة إلى قَصْعَتها». فقال قائل: ومن قِلَّةٍ نحن يومئذ؟ قال: «بل أنتم يومئذ كثير، ولكنكم غثاء كغثاء السيل، ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم، وليقذفن الله في قلوبكم الوَهْن». فقال قائل: يا رسول الله، وما الوَهْن؟ قال: «حب الدنيا وكراهية الموت». [أخرجه أحمد: ٥/٢٧٨، وأبو داود: ٤٢٩٧، وصححه الشيخ الألباني في «مشكاة المصابيح» ٥٣٦٩، و«السلسلة الصحيحة» ٩٥٦].

وصدق الصادق المصدوق، حيث أخذت قوى الباطل تجيش الجيوش وتجمع عُدَدها وعتادها وحلفاءها ضد ما يسمونه بالإرهاب، وكذبوا، فأين هم من الإرهاب الإسرائيلي للمسلمين العزل في فلسطين، بل المراد هو ضرب الإسلام والمسلمين، وقد فضحهم الله عز وجل، وأظهر ما تكنه صدورهم من عداوة للمسلمين والإسلام، عندما صرح كبيرهم بأنها حرب صليبية، وقال آخر: إن الحضارة الأوربية أرقى من الحضارة الإسلامية، ولكنهم تراجعوا عن ذلك حتى تتم مؤامرتهم، ويتحقق مرادهم؛ لأنهم يعلمون أنه لا طاقة لهم بحرب المسلمين إذا كانت حربهم من أجل نصرة الإسلام وإعلاء كلمة الله، لذا فهم يبعدون الإسلام عن أي صراع، ونجحوا في ذلك فترات طويلة، لذا فما يحدث الآن لعله هو البداية لنهاية هيمنة الباطل، فينبغي أن نعي الأمور الآتية:

١- **سنة الاستدراج**، فالله عز وجل يقول: ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لاَ يَعْلَمُونَ. وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾ [الأعراف: ١٨٢، ١٨٣].

والله عز وجل يدعونا في كثير من الآيات إلى الاعتبار بحال الأمم السابقة التي أهلكها عز وجل، فيقول: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ. ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاءُوا السُّوأَى أَن كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِؤُون﴾ [الروم: ٩، ١٠]، فكان من أسباب هلاكها ودمارها الإفساد في الأرض والاغترار بالقوة وبالعلم، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ. إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ. الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلاَدِ. وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ. وَفِرْعَوْنَ ذِي الأَوْتَادِ. الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلاَدِ. فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ.

فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ﴾ [الفجر: ٦-١٣]، هذا للأمم السابقة، فماذا لقوى الباطل في عصرنا؟ قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾ [الفجر: ١٤]، وأما اغترارهم بقوتهم فالله عز وجل يقول: ﴿أَوَ لَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾ [فصلت: ١٥]، وأما اغترارهم بعلمهم فإنه علم مادي يكون وبالاً على صاحبه إذا لم يقربه إلى الله، قال تعالى: ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾ [الروم: ٧]، وقال: ﴿فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِندَهُم مِّنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِؤُون﴾ [غافر: ٨٣].

وأما عن الأخلاق عندهم فحدث ولا حرج من إباحية وفجور وشذوذ، حتى أبيح للرجل الاكتفاء بالرجل، وللمرأة الاكتفاء بالمرأة، وسُنت لذلك القوانين، قال تعالى على لسان شعيب: ﴿وَانظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ [الأعراف: ٨٦]، وقال تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا﴾ [محمد: ١٠]، وقال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِن شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلاَ فِي الأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾ [فاطر: ٤٤].

أخذت قوى الباطل تجيش الجيوش ضد ما يسمونه الإرهاب فأين هم من الإرهاب الإسرائيلى !!

٢- أن مكرهم هذا واقع عليهم ومردود في نحورهم، قال تعالى: ﴿وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ [آل عمران: ٥٤]، وقال: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَى مِنْ إِحْدَى الأُمَمِ فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلاَّ نُفُورًا. اسْتِكْبَارًا فِي الأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ وَلاَ يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلاَّ بِأَهْلِهِ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ سُنَّتَ الأَوَّلِينَ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلاً وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلاً﴾ [فاطر: ٤٢، ٤٣]، وقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ﴾ [الأنفال: ٣٦].

٣- أن نوقن أن النصر للإسلام والمسلمين، قال تعالى: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم: ٤٧]، وقال: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الأَشْهَادُ﴾ [غافر: ٥١]، وقال: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ. إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ. وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾ [الصافات: ١٧١- ١٧٣]، وقال: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠٥].

٣- ينبغي أن نُحسن الظن بالله عز وجل، فهو من واجبات التوحيد، وأن نحذر من إساءة الظن بالله، فما يجري الآن للمسلمين إنما هو بقدر الله عز وجل ولحكم كثيرة منها

تمييز الخبيث من الطيب، وتمحيص المؤمنين، وليتخذ الله منهم شهداء، إلى غير ذلك مما يليق بحكمة الله عز وجل، حتى يعود المسلمون إلى دينهم، فإذا عادوا إليه وتمسكوا به نصرهم الله، فمن ظن غير ذلك فقد أساء الظن بربه، وكان كمن قال الله فيهم: ﴿ الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ ﴾ [الفتح: ٦]، وكما قال: ﴿ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ ﴾ [آل عمران: ١٥٤].

«فمن ظن أنه يديل الباطل على الحق إدالة مستقرة يضمحل معها الحق، أو أنكر أن يكون ما يجرى بقضائه وقدره، وأنكر أن يكون قدره لحكمة بالغة يستحق عليها الحمد، بل زعم أن ذلك لمشيئة مجردة، ﴿ ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ ﴾ [ص: ٢٧]». «تيسير العزيز الحميد» (ص٦٧٥).

٤- وأخيرًا فلنتذكر غزوة الأحزاب وما فيها من دروس وعبر، حيث تجمعت قوى الباطل لمحاربة المؤمنين مع خوفهم أن ينالهم عدوهم من اليهود من خلفهم مع شدة الحصار الاقتصادي، فكانت محنة عظيمة وبلاءً شديدًا، قال تعالى: ﴿ إِذْ جَاؤُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا. هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالاً شَدِيدًا ﴾ [الأحزاب: ١٠، ١١]، وما زال الأمر كذلك حتى أذن الله بنصر المؤمنين، قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ﴾ [الأحزاب: ٩]، وقال: ﴿ وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴾ [الأحزاب: ٢٥].

ونقول لقوى الباطل التي علت في الأرض، كما قال النبي ﷺ لأبي سفيان عندما كان مع المشركين في غزوة أحد: «الله أعلى وأجل». ونقول أيضًا: «الله مولانا ولا مولى لكم». [صحيح البخاري: ٣٩٨٦، ٤٠٤٣، ٤٠٦٧، ٤٥٦١].

ينبغي أن نحسن الظن بالله عزوجل فيما يجري للمسلمين في هذه الأيام!!

فعلى المسلمين أن يتمسكوا بدينهم وأن يرجعوا إلى ربهم، وأن يرفعوا راية الجهاد لتحرير مقدساتهم، وأن يكون ولاؤهم لله ورسوله والمؤمنين، وبراؤهم من الكفر وأهله.

ونختم بهذه الآية: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاء بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ. فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَن تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِ فَيُصْبِحُواْ عَلَى مَا أَسَرُّواْ فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ ﴾ [المائدة: ٥١، ٥٢].

والله حسبنا ونعم الوكيل، وهو مولانا فنعم المولى ونعم النصير.

وقفات مع
القصة في
كتاب الله

قصة موسى عليه السلام

الحلقة (١٦)

هلاك فرعون وجنده

بقلم الشيخ: عبد الرازق السيد عيد

الحمد لله القائل في كتابه الكريم: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ. إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ. وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ. ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ. فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ [البروج: ١٢- ١٦]، والصلاة والسلام على النبي المصطفى والرسول المجتبى الذي لا ينطق عن الهوى، ﴿إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى﴾ [النجم: ٤].

وبعد أخي القارئ الكريم، رأينا في اللقاء السابق كيف أرسل الله إلى فرعون وقومه بعضًا من جنده لعلهم يتذكرون، وكان من الآيات المفصلات: السنون، ونقص الثمرات، والطوفان، والجراد، والقمّل، والضفادع، والدم، وهم في كل مرّة يطلبون من موسى أن يسأل ربّه كشف ما هم فيه من كرب، فيكشف الله الكرب عنهم فيعودون لما هم عليه من كفر وعناد، ولم تؤثر في قلوبهم تلك الآيات، الواحدة تلو الأخرى، وكل آية فيها عبرتان؛ عبرة في نزولها، وعبرة في كَشْفِها، فالذي أتى بها هو الله سبحانه، والذي كشفها هو الله سبحانه، والداعي هو رسوله موسى عليه السلام، آيات باهرات لا تدع مجالاً للشك عند أولي النهى، ومن قبلها آية العصا وآية اليد، لكنه الجحود والظلم والعلو في الأرض بغير الحق والإفساد فيها والرغبة في السيطرة المطلقة دون حدود أو قيود، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ. وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ [النمل: ١٣، ١٤].

هذه دعوة من الله إلى رسوله محمد ﷺ وإلينا جميعًا أن ننظر عاقبة المفسدين الذين غلبتهم شهواتهم على الحق بعد ظهوره وجلائه، وبعد أن أمهلهم الله وأنذرهم بالآيات المتتابعات، والآن جاء وقت النظر في هلاك فرعون وجنوده، وقد جاء ذلك في كتاب الله في سور شتى مجملاً ومفصلاً.

أولاً: فمن المجمل ما جاء في الآيات التالية:

١- ﴿فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الآخِرَةِ وَالأُولَى. إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَى﴾ [النازعات: ٢٥، ٢٦].

٢- ﴿فَأَسْرِ بِعِبَادِي لَيْلاً إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ. وَاتْرُكْ الْبَحْرَ رَهْوًا إِنَّهُمْ جُندٌ مُّغْرَقُونَ﴾ [الدخان: ٢٣، ٢٤].

٣- ﴿فَلَمَّا آسَفُونَا انتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ. فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلاً لِّلآخِرِينَ﴾ [الزخرف: ٥٥، ٥٦].

٤- ﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لاَّ تَخَافُ دَرَكًا وَلاَ تَخْشَى. فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ فَغَشِيَهُم مِّنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ. وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَى﴾ [طه: ٧٧- ٧٩].

٥- ﴿فَأَرَادَ أَن يَسْتَفِزَّهُم مِّنَ الأَرْضِ فَأَغْرَقْنَاهُ وَمَن مَّعَهُ جَمِيعًا﴾ [الإسراء: ١٠٣].

٦- ﴿فَانتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا وَكَانُواْ عَنْهَا غَافِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٣٦].

ثانيًا: نموذج من العرض المفصّل:

ونترك هذه الآيات بإيقاعها السريع الذي يدخل القلب مباشرة فيُوحي بسرعة زوال الباطل- مهما امتد أجله- أمام سلطان الله القاهر الذي له جنود السماوات والأرض؛ لنقف مع آيات سورة «الشعراء» بشيء من التفصيل في هذا الموقف، فنشاهد ما يأتي:

١- ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ﴾ [الشعراء: ٥٢].

جاء الأمر من الله إلى موسى بالخروج ببني إسرائيل من مصر إلى أرض الشام، مرورًا بسيناء، ويكون الخروج ليلاً مع الحذر؛ لأن فرعون لن يتركهم يخرجون، فاحتال بنو إسرائيل للأمر وتظاهروا بالاستعداد للاحتفال بعيدهم واستعاروا من قوم فرعون ما استطاعوا من الحلي، وفي الليلة الموعودة، ومع ظهور القمر خرج موسى يقود بني إسرائيل.

٢- ﴿فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ. إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ. وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ. وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَاذِرُونَ﴾ [الشعراء: ٥٣- ٥٦].

عَلِمَ فرعون بخروج بني إسرائيل سرًا، فاشتد غضبه وازداد حنقه عليهم، وأعلن حالة الاستنفار القصوى، وأرسل من يحشد له الجند من جميع أقاليم مملكته، وأعلن عن عزمه في استئصال شأفة بني إسرائيل وإبادة خضرائهم حتى لا يبقى منهم أحد، ومن يبق يقع تحت نير العبودية، كما كان وأشد. على هذا صمّم فرعون وحشر قواته وخيله ورَجِلِه وخرج في إثر موسى وقومه.

٣- ﴿فَأَتْبَعُوهُم مُّشْرِقِينَ. فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ. قَالَ كَلاَّ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ [الشعراء: ٦٠-٦٢].

حشد فرعون جنوده وخرج في جيوشه الجرارة التي لا قِبَل لبني إسرائيل بها، ولم يمض وقت طويل حتى أدرك فرعون بني إسرائيل- أو كاد- وعند الشروق كان فرعون وجنوده على مد البصر من موسى وقومه وكلا الفريقين رأى الآخر. عندها قال أصحاب موسى لموسى: ﴿إِنَّا لَمُدْرَكُونَ﴾!! هذا بالمقاييس البشرية المادية واقع، فالمسافة قريبة والطريق انتهى ببني إسرائيل إلى ساحل البحر الأحمر، وفرعون وجنوده من خلفهم والبحر من أمامهم، فأين المفر؟ إنه الموت المحقق على أيدي فرعون وجنوده أو الغرق في البحر، هكذا كانت الصورة، واشتد الموقف.

وهنا هتف صوت الحق من قلب موسى وعلى لسانه: ﴿كَلاَّ﴾، كلمة ردع وزجر، لن نُدرك، لماذا يا نبي الله؟ ﴿إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾، هكذا نطق موسى عليه السلام بيقين النبوة: أن الله لن يتركه ولن يتخلى عنه، فهو الذي أمره أن يتجه هذا الاتجاه ويمشي في هذا الطريق، وقد فعل موسى ما أمره الله به، وهذا ما يملك، فسيكفيه الله فيما لا يملك؛ لأن الله معه، معية حفظ ورعاية، يسمع ويرى: ﴿إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾، ما أشبه هذه الكلمة بتلك التي قالها النبي الخاتم محمد ﷺ لصاحبه أبي بكر إذ هما في الغار: ﴿لاَ تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾، إنها كلمات تعلوها إشراقات النبوة، ولأن الذي أرسل الأنبياء جميعًا هو الله الواحد، فمصدر الإلهام واحد، والمعية هي هي، والولاية والنصر كذلك.

٤- ﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ﴾ [الشعراء: ٦٣].

وبعد أن ضاق الأمر على بني إسرائيل واشتد بهم الحزن وقتلهم الخوف من إدراك فرعون وجنوده لهم؛ جاء الفرج القريب، جاء ما كان يتوقعه موسى عليه السلام ويوقن به، جاء الأمر من الله والتوجيه بضرب البحر بالعصا فيصير فيه طريق آمن بين جبلين من الماء المتجمد، نعم تشق العصا في البحر طريقًا يبسًا يعبر فيه موسى وقومه لا يخافون دركًا من فرعون ولا يخافون الغرق؛ لأن الذي أمر البحر أن ينشق هو الله الذي إذا أراد شيئًا أن يقول له: ﴿كُن فَيَكُونُ﴾، هو الذي جعل الماء نجاة لموسى ومن معه، وغرقًا لفرعون ومن معه، سبحانه وتعالى هو الذي أمر النار أن تكون بردًا وسلامًا على إبراهيم، وأمر الماء أن يتجمد لموسى فيمشي عليه، وهو الذي أمره بإغراق قوم نوح، وقوم فرعون، فالله سبحانه وتعالى ذو الحكمة البالغة والقدرة الغالبة القاهرة؛ وهو الذي جعل الماء ينبع من تحت قدم إسماعيل، ويخرج من الحجارة بضربة من عصا موسى، وكذلك جعله ينبع من بين أصابع النبي محمد ﷺ، وهو الذي أمر البحر أن يتجمد هنا ويصير على الجانبين كالجبلين والطريق الصالح للمرور بينهما. يا لها من آية تهتز لها القلوب المؤمنة، وخصوصًا عندما تعاينها الأبصار، وتلك معجزة أخرى عظيمة تنضم إلى سلسلة المعجزات التي أجراها الله على يد نبيه

موسى عليه السلام، فهل ارعوى فرعون ومن معه أم أضلهم الكبر والهوى عن رؤية تلك الآية الباهرة كما ضلُّوا من قبل؟

٥- ﴿وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الآخَرِينَ. وَأَنجَيْنَا مُوسَى وَمَن مَّعَهُ أَجْمَعِينَ. ثُمَّ أَغْرَقْنَا الآخَرِينَ﴾ [الشعراء: ٦٤- ٦٦].

ظلَّ فرعون سادرًا في غيِّه، ولم ينزجر ولم يتحرك قلبه بما رأى، وذلك عمى البصيرة- نعوذ بالله من ذلك- ونزل خلف موسى ومن معه يريد اللحاق به، لكن هيهات هيهات، لم يمكنه الله من ذلك وأطبق عليه جانبي البحر، فغرق هو وجنوده جميعًا، ونجى الله موسى ومن معه، لكن آيات سورة الشعراء هنا أوردت هذا المشهد بإيجاز، فإذا أردنا شيئًا من التفصيل، فلنذهب إلى سورة «يونس».

٦- ﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدْوًا حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنتُ أَنَّهُ لا إِلِهَ إِلاَّ الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَاْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ. آلآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ. فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ﴾ [يونس: ٩٠- ٩٢].

ويضيف المشهد القرآني هنا تفاصيل لم ترد في سورة الشعراء نلحظها فيما يلي:

١- قوله تعالى: ﴿وَجَاوَزْنَا﴾ إشارة إلى أن الله هو الذي هداهم إلى هذا الطريق، وهو الذي يحفظه «سبحانه وتعالى» حتى خرجوا سالمين.

٢- ﴿فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ﴾، لا هداية وإيمانًا، ولا ردًا لحق مسلوب، ولكن: ﴿بَغْيًا وَعَدْوًا﴾، تجاوزًا للحد وطغيانًا، ظلمًا واعتداء.

٣- ﴿حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنتُ...﴾(١)، وهو إيمان لا ينفع صاحبه؛ لأنه آمن عند معاينة العذاب بعد فوات الأوان، آمن بعد رؤية الآخرة، فلم يكن إيمانه بالغيب، بل بالشهادة، وفي ذلك وأمثاله يقول الله تبارك وتعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ. فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّتَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ﴾ [غافر: ٨٤، ٨٥].

فهذه سنة الله في خلقه، أن تقبل التوبة في حال الإمكان، وليس عند معاينة العذاب؛ لذا وضع العلماء شرطًا للتوبة استنباطًا من النصوص القرآنية والأحاديث النبوية، وهذا الشرط هو أن تكون التوبة في الزمن الذي تقبل فيه وهو وقت الإمكان لا عند الغرغرة بالموت، ولا عند معاينة آية العذاب، ولا عند شروق الشمس من مغربها، ولما كانت توبة فرعون في غير وقتها الصحيح؛ لم يقبلها الله منه وردها عليه.

٤- ﴿آلآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ. فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً﴾ [يونس: ٩١، ٩٢].

أراد الله أن يكون في موت فرعون عبرة لغيره، فلم يترك جسده يأكله السمك مثل غيره من الجنود، بل لفظه البحر جثة هامدة لا حراك فيها، وكأن غضب الله عليه جعل البحر والسمك يلفظه ويصير على الطريق عبرة لكل من يأتي بعده مثلاً، ذليلاً لكل متكبر، لا بد وأن يذله في الدنيا والآخرة، فهل من معتبر؟ وصدق الله حين ختم هذا المشهد بقوله: ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ﴾ [يونس: ٩٢]، وقال تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾ [يوسف: ١٠٥].

وبغرق فرعون وجنوده يكون قد انتهى القسم الأول من قصة موسى، وهو قصة الصراع بين موسى وفرعون، تبدأ الصفحة التالية بقصة الصراع بين موسى وقومه من بني إسرائيل، وإنه حقًا لصراع يذكرنا بقول القائل:

وظلم ذوي القربى أشدّ مضاضةً
على النفس من وقع الحسام المهنَّد

وإلى صفحات هذا الصراع الطويل المرير الذي يظهر خبث نوايا بني إسرائيل وسوء نيتهم وفساد طويتهم(٢)، نلتقي بعون الله سبحانه وتعالى، لكن لا بد لنا من وقفه مع الدروس والعبر المستفادة من هلاك فرعون، فإلى أن نلتقي، والسلام عليكم ورحمة الله.

الهوامش :

---

(١) يرى بعض المفسرين أن توبة فرعون لم تكن خالصة، وكان فيها دخن من كبر؛ لأنه لم يقل: آمنت بالله، ولكن قال: ﴿آمَنتُ أَنَّهُ لا إِلِهَ إِلاَّ الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ﴾، والله أعلى وأعلم.

(٢) هذا إلا من رحم الله، وقليل ما هم.

أبناؤنا والمستقبل المنتظر!

بقلم: الشيخ جمال عبد الرحمن

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه.. وبعد:

ليس هناك من شك في أن كل أب يحب أن يرى ابنه وابنته في أحسن حال، ويحقق لهم السعادة وراحة البال، وكذلك كل أم، فهذا هدف يشترك فيه ويسعى إليه جميع الآباء والأمهات، ولكن الذي يفترق فيه هؤلاء جميعًا أمران:

الأول: السبيل لتحقيق هذا الهدف.

الثاني: النية التي يستصحبونها، وهي أن منهم مَن يريد الدنيا، ومنهم مَن يريد الآخرة، ومنهم من يريدهما معًا. وقد جمع النبي ﷺ بين هذين الأمرين؛ السبيل والنية في قوله ﷺ: «كل الناس يغدو فبايعٌ نفسه، فمعتقها أو موبقها». مسلم (ج١ص٢٠٣).

أما عن الأمر الأول وهو اختلاف سبلهم في تحقيق أهدافهم؛ فهذا شائع ومعروف، فمن الناس من يحب أن يصل إلى السعادة لأبنائه ولو بكسب الحرام وأكل الحرام وإغضاب الملك العلام، والبعض يقتصر على الحلال وإن كان قليلاً، وقليل ما هم.

وأما عن الفرق الثاني بين الناس في النظرة إلى السعادة والمستقبل السعيد للابن والحفيد، فكما أسلفنا أن منهم من يريد الدنيا، ويكون منتهى أمله فيها لإسعاد أولاده؛ ضمان مساكن نظيفة، وشغل أعلى وظيفة، وادخار رصيد مالي، لحادثة الأيام والليالي، فيشعر بالأمان عندها، ويقبّل يده وجهها وظهرها، وقد اطمأن على الأولاد، والحمد لله رب العباد!

لكن هل الأولاد يُصلُّون ويعرفون دينهم، وما شَرَعَ الله لهم؟ هل يعرفون التوحيد وحق الله على العبيد؟ هذه تأتي عنده في المرتبة الثانية- إن أتت- وإلا فالدين يسر، وليس فيه عسر، والعمل عبادة، فافهموا يا سادة، والله غفور رحيم!! وهذا الفريق من الناس يصدق فيه قول الله تعالى: ﴿رَضُواْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّواْ بِهَا﴾ [يونس: ٧].

لكن فريقًا آخر قال الله تعالى فيه: ﴿يَحْذَرُ الآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ﴾ [الزمر: ٩]، وقال: ﴿وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ الآخِرَةَ﴾ [آل عمران: ١٥٢]، وقال: ﴿يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ﴾، فهذا الصنف من الناس جعل نفسه وماله لله، وجعل تربية ولده وَفْقَ منهج الله، وقدم لله منهم، فكانوا له عند الله فَرَطًا، واستحق بهم أجرًا.

سأل رسول الله ﷺ يومًا أصحابه

فقال: «ما الرقوب؟» قالوا: الذي لا ولد له، قال: «لا، ولكن الرقوب الذي لم يقدم من ولده شيئًا». أخرجه أحمد (ج١ص٣٨٢)، وأصله في الصحيحين.

والرَّقُوب: في اللغة الرجل والمرأةُ التي لم يَعش لهما وَلَد لأنه يرقُبُ موته ويرصُدُه خوفًا عليه فنَقَلَه النبي ﷺ إلى الذي لم يُقَدِّم من الولد شيئًا، أي يموت قَبْلَه تَعْريفًا أن الأجر والثواب لمن قَدَّم شيئًا من الوَلَد، وأنَّ الاعتدادَ به أكثر والنُّفعَ فيه أعظمُ، وأنَّ فَقْدَهم وإن كان في الدنيا عظيمًا فإن فقْدَ الأجْر والثواب على الصبر والتسليم للقضاء في الآخرةِ أعظمُ، وأنَّ المسلم ولده في الحقيقة مَنْ قدَّمه واحْتَسبه، ومَن لم يُرْزَق ذلك فهو كالذي لا وَلَد له. «النهاية» لابن الأثير (ج٢ص٢٤٩).

ولا شك أن الموت ليس بأيدينا حتى نقدم من أبنائنا من يكونون فرطًا لنا وأجرًا، وليس هذا معنى الحديث، لكن معناه كما قال النووي رحمه الله: ومعنى الحديث: أنكم تعتقدون أن الرقوب المحزون؛ هو المصاب بموت أولاده، وليس هو كذلك شرعًا، بل هو من لم يمت أحد من أولاده في حياته فيحتسبه؛ فيُكتَب له ثواب مصيبته به وثواب صبره عليه ويكون له فرطًا وسلفًا. «شرح النووي على صحيح مسلم» (ج١٦ص١٦٢).

فالحديث يبين أجر احتساب فقد الأولاد وأن المحتسب لفقدهم هو الذي قدم من أولاده لنفسه وهو الرقوب الحقيقي الذي فقد شيئًا سينفعه عند الله فقده، أما من يموت أولاده ولم يصبر لفقدهم ولم يحتسبهم فهو الرقوب بالمعنى اللغوي، أي الذي يرقب موت الولد منهم بعد الآخر ولا أجر له ولا ثواب، غير الحزن والاكتئاب.

عن جابر بن عبد الله قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من مات له ثلاثة من الولد دخل الجنة». قال: قلنا: يا رسول الله، وابنان؟ قال: «وابنان». قال محمود: قلت لجابر بن عبد الله: إني لأراكم لو قلتم واحدا لقال: واحدا، قال: والله أظن ذلك. «صحيح ابن حبان» (ج ٧ ص٢٠٨).

وأخرج البخاري (ج٥ ص٢٣٦١) عن أبي هريرة مرفوعًا: «يقول الله عز وجل: ما لعبدي المؤمن عندي جزاء إذا قبضت صفيهُ من أهل الدنيا ثم احتسبه إلا الجنة». قال ابن حجر: وهذا يدخل فيه الواحد فما فوقه، وهو أصح ما ورد في ذلك، وقوله: فاحتسب أي صبر راضيًا بقضاء الله راجيًا فضله. «فتح الباري» (ج٣ ص١١٩).

وعن بريدة قال: كنت عند النبي ﷺ فبلَغه أن امرأة من الأنصار مات ابنٌ لها فجزعت عليه، فقام النبي ﷺ ومعه أصحابه، فلما بلغ باب المرأة قيل للمرأة: إن نبي الله ﷺ يريد أن يدخل يعزيها، فدخل رسول الله ﷺ، فقال: «أما إنه بلغني أنك جزعت على ابنك». قالت: يا نبي الله، ما لي لا أجزع وأنا رقوب لا يعيش لي ولد؟ فقال رسول الله ﷺ: «إنما الرقوب الذي يعيش ولدها، إنه لا يموت لامرأة مسلمة أو امرئ مسلم ثلاثة من ولده يحتسبهم إلا وجبت له الجنة». فقال عمر وهو عن يمين النبي ﷺ: بأبي وأمي، واثنين؟ قال نبي الله ﷺ: «واثنين». رواه البزار ورجاله رجال الصحيح. قاله الهيثمي في «مجمع الزوائد» (ج٣ ص٨).

وفي رواية للبيهقي أن النبي ﷺ قال لها: «إنما الرقوب الذي يعيش ولدها، أما تحبين أن تَرَيْهِ على باب الجنة وهو يدعوك إليها؟» قالت: بلى، قال: «فإنه كذلك». «شعب الإيمان» (ج٧ ص١٣٦).

وعن قبيصة بن برمة الأسدي قال: كنت عند النبي ﷺ جالسًا، إذ أتته امرأة فقالت: يا نبي الله، ادع الله لي، فإنه ليس يعيش لي ولد، قال: «فكم مات؟» قالت: ثلاثة بنين. قال: «لقد احتظرْتِ من النار بحظار شديد». البخاري، في «التاريخ الكبير» (ج٧ ص١٧٤).

والاحْتِظار: فِعل الحِظار - وهو حائط الحظيرة - أراد لقد احتْمَيت بحِمَىً عظيم من النار يقِيك حرَّها ويُؤَمِّنك دخولها. «النهاية في غريب الحديث» (ج١ ص٤٠٤).

نموذج رائع

ومن النماذج الرائعة العالية، التي تظهر في الإسلام جمال التربية؛ وجلال العطاء والتضحية؛ الربْيع بنت النضر الأنصارية رضي الله عنها، وهي أم حارثة بن سراقة المستشهد بين يدي رسول الله ﷺ ومن حديثها؛ أنها جاءت إلى رسول الله ﷺ، فقالت له: يا رسول الله، أخبرْني عن حارثة، فإن كان من أهل الجنة صبرت، وإن كان غير ذلك فسترى ما أصنع، فقال ﷺ: «يا أم حارثة، إنها جنانٌ كثيرة، وإن حارثة منها في الفردوس الأعلى». «الاستيعاب» (ج٤ ص١٨٣٨).

فأم حارثة رضي الله عنها ربَّت ولدها وتعبت في تربيته، فشب مجاهدا، ومات شهيدا، فقد قُتِل ببدر بسهم وهو يشرب من الحوض وكان خرج نظَّارا (ينظر جيش المشركين) يوم بدر فرماه أحدهم فأصاب حنجرته فقتل، وهو أول قتيل قُتِل يومئذ ببدر من الأنصار.

لكن أم حارثة لا تعلم الغيب، ولا تدري بأي شيء خُتِم لابنها، وهل بعد هذه التربية وذلك الجهد يكون ولدها في النار؟! تلك إذاً مصيبة كبرى! فلذلك جاءت تسأل رسول الله ﷺ فأخبرها بما يفيد أن الله تعالى لا يضيع أجر من أحسن عملا، وأن الذي يعمل للجنة يدخلها، بل إنها جِنان، وحارثة في أعلاها.. إنها أخذت مع ابنها بأسباب السلامة، فبلَّغه الله دار الكرامة.

كم من الناس يتعب ويضيع الأعمار؛ لكنه جيفة بالليل حمار بالنهار.

وكم من الناس مَن يحمل الشهادات العاليات، لكنه لا يعرف لشهادة أن لا إله إلا الله حقوقاً ولا مقتضيات.

وكم ممن يركب السيارات الفاخرة؛ لكنه عالم بأمر الدنيا جاهل بأمر الآخرة، وكم.. وكم.. وكم!! ﴿ يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ ﴾ [الروم: ٧].

إن أعظم مستقبل نصنعه لأبنائنا؛ ذاك الذي صنعته أم حارثة لابنها حارثة؛ ائتماراً بأمر العليم الحكيم، العزيز الرحيم: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلاَئِكَةٌ غِلاَظٌ شِدَادٌ لاَّ يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ [التحريم: ٦].

والحمد لله رب العالمين.

إصلاح العقيدة أساس كل إصلاح

بقلم الشيخ: معاوية محمد هيكل

الحمد لله وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى... وبعد:

فإن التوحيد هو أصل الإسلام وأساسه، وعليه ترتكز دعائمه وأركانه، وهو أعظم الفرائض وأهم الواجبات وأولها، ومفتتح الدعوات والرسالات، لأجله أرسل الله رسله وأنزل كتبه وشرع شرائعه، ولأجله نصبت الموازين ووضعت الدواوين وقام سوق الجنة والنار، وبه انقسمت الخليقة إلى المؤمنين والكفار والأبرار والفجار، وهو منشأ الخلق والأمر والثواب والعقاب، وعليه نصبت القبلة وأسست الملة، ولأجله جردت سيوف الجهاد، وهو حق الله على العباد. قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]، وقال: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُواْ اللَّهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]، وقال: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَ أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنعام: ٢٥].

وهو أمر الله تعالى لعباده، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ٢١]، وقال: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ﴾ [البينة: ٥].

وفي «الصحيحين» عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال لمعاذ: «أتدري ما حق الله على العباد وما حق العباد على الله؟» قال معاذ: قلت: الله ورسوله أعلم، فقال ﷺ: «حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا...» الحديث.

وقال رسول الله ﷺ: «من لقي الله لا يُشرك به شيئًا دخل الجنة، ومن لقيه يُشرك به شيئًا دخل النار». رواه البخاري.

وقال رسول الله ﷺ: «من مات وهو يدعو من دون الله ندًا دخل النار». أخرجه البخاري في «صحيحه».

وهذا النوع من التوحيد هو الذي جحده الكفار وكانت الخصومة فيه بين الرسل وأممهم من لدن نوح عليه الصلاة والسلام إلى نبينا محمد ﷺ، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الزمر: ٦٥]، وقال تعالى: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِالإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [المائدة: ٥].

لذلك لما دعا رسول الله ﷺ مشركي العرب إلى عبادة الله وحده ونبذ الأنداد والآلهة الباطلة المدّعاة تعجبوا لذلك، وقالوا: ﴿أَجَعَلَ الآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾ [ص: ٥]، فرد عليهم القرآن: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلاَّ اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء: ٢٢]، ولما عللوا شركهم وبرروا كفرهم بقولهم عن آلهتهم: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ [الزمر: ٣]، وقولهم: ﴿هَؤُلاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ﴾ [يونس: ١٨]، فرد عليهم القرآن: ﴿قُل لِّلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا﴾ [الزمر: ٤٤]، فهؤلاء العرب لم يحققوا التوحيد لله رب العالمين؛ لذلك حاربهم النبي ﷺ.

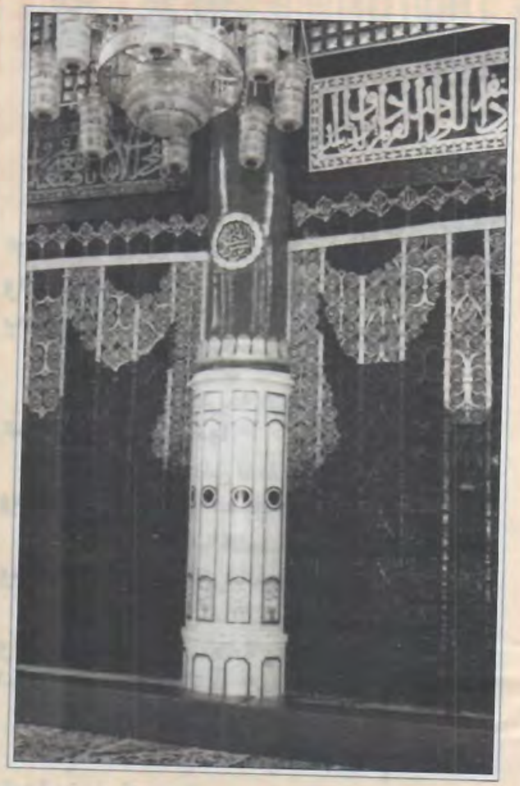

تحقيق التوحيد

اعلم أن العبد لا يكون موحدًا التوحيد الذي ينجيه في الدنيا من عذاب القتل والأسر وفي الآخرة من عذاب النار بمجرد اعتقاده أن الله هو رب كل شيء وخالقه ومليكه، وأنه المدبر للأمور جميعًا، فإن مثل هذا التوحيد كان يقره المشركون الذين أُمر رسول الله ﷺ بقتالهم، قال تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ [لقمان: ٢٥]، بل لا بد من توحيد الإلهية، وذلك بإفراد الله تعالى بالعبادة.

وهذا التوحيد لا يتحقق إلا بأمور ثلاثة:

١- العلم: فلا يمكن أن تحقق شيئًا قبل أن تعلمه، قال تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ﴾ [محمد: ١٩].

٢- الاعتقاد: فإذا علمت ولم تعتقد واستكبرت لم تحقق التوحيد، قال تعالى حاكيًا قول الكافرين: ﴿أَجَعَلَ الآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾ [ص: ٥]، فما اعتقدوا انفراد الله بالألوهية.

٣- الانقياد: فإذا علمت واعتقدت ولم تنقد لم تحقق التوحيد، قال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ. وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوا آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ﴾ [ص: ٣٥، ٣٦]. «القول المفيد» للشيخ ابن عثيمين.

لذلك فإن تحقيق التوحيد يقتضي تهذيبه وتصفيته من الشرك الأكبر والأصغر، ومن البدع القولية الاعتقادية والبدع الفعلية العملية، ومن المعاصي، وذلك بكمال الإخلاص لله في الأقوال والأفعال والإرادات، وبالسلامة من الشرك الأكبر المناقض لأصل التوحيد، ومن الشرك الأصغر المنافي لكماله.

فمن حقق التوحيد بأن امتلأ قلبه من الإيمان والتوحيد والإخلاص وصدقته الأعمال بأن انقادت جوارحه إلى أوامر الله طائعة منيبة مخبتة، ولم يجرح ذلك بالإصرار على المعاصي، فهذا الذي يدخل الجنة بغير حساب ويكون من السابقين إلى دخولها وإلى تبوء المنازل منها.

ومن أخص ما دل على تحقيقه؛ كمال القنوت لله وقوة التوكل على الله، بحيث لا يلتفت العبد إلى المخلوقين في شأن من شئونه ولا يستشرف إليهم بقلبه، ولا يسألهم بلسان مقاله أو حاله، بل يكون ظاهره وباطنه وأقواله وأفعاله وحبه وبغضه وجميع أحواله كلها مقصودًا بها وجه الله متبعًا فيها رسول الله ﷺ. «القول السديد» (ص٢٠).

كتاب: «عقيدة السلف وأصحاب الحديث»

إعداد: علاء خضر

○ **المؤلف**: هو شيخ الإسلام أبو عثمان إسماعيل بن عبد الرحمن بن أحمد بن إسماعيل بن إبراهيم الصابوني(١) النيسابوري الحافظ المفسر المحدث الفقيه الواعظ الملقب بشيخ الإسلام.

○ **مولده** : ولد عام ٣٧٣ هجرية بنيسابور .

جلس للوعظ وهو صغير السن، وكان يحضر مجالسه كبار العلماء، وقد أخذ عن شيوخ عصره، منهم أبو عبد الله النيسابوري الشهير بالحاكم، ومحمد بن إسحاق بن خزيمة، وتتلمذ عليه خلقٌ كثير منهم أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، وغيره كثير.

قال عنه البيهقي: شيخ الإسلام صدقًا، وإمام المسلمين حقًا.

وقال عنه ابن كثير: الحافظ الواعظ المفسر، كان شيخ خراسان في زمانه، توفي في شهر المحرم سنة (٤٤٩هـ).

سبب تأليفه لهذا الكتاب:

لقد صرح المؤلف بذلك، فقال: لما وردت أهل طبرستان وبلاد جيلان متوجهًا إلى بيت الله الحرام سألني إخواني في الدين أن أجمع لهم فصولاً في أصول الدين.

موضوع الكتاب:

هو تقرير العقيدة السلفية في أصول الدين.

أهمية الكتاب:

هو من الكتب التي أسهمت في إثراء المكتبة الإسلامية في توضيح عقيدة أهل السنة والجماعة، ويعتبر هذا الكتاب من المصادر التي يعتمد عليها العلماء في تقرير معتقد السلف.

منهج المؤلف في الكتاب:

- يتبع المؤلف طريقة الاختصار؛ إلا في مسألة النزول فإنه يفصِّل فيها.

- غالبًا ما يطلق لفظ «أصحاب الحديث»، و«أهل السنة» قاصدًا السلف الصالح.

- يروي غالبًا الأحاديث والآثار بإسناد، وبعض النصوص يذكرها بدون إسناد.

- يورد المسائل غالبًا بأدلتها من الكتاب والسنة ثم أقوال الصحابة والتابعين، ويترك الأدلة أحيانًا لشهرة المسألة أو لأجل الاختصار.

نسخ الكتاب:

يقع الكتاب في مجلد واحد، وأهم طبعاته: طبعة بتحقيق بدر البدر، وطبعة بتحقيق ودراسة د. ناصر بن عبد الرحمن الجديع، ونسخة ضمن مجموع الرسائل المنيرية.

مسائل الكتاب:

يتكون الكتاب من عدة فصول، يتناول فيها المؤلف مسائل كثيرة مثل: إثبات صفات الله، وأن القرآن منزل غير مخلوق، ومسألة استواء الله على عرشه، ومسألة النزول ورؤية المؤمنين ربهم في الآخرة، وفضل الصحابة، وأحكام الإمام المسلم، وحقوق الصحابة، وأحكام السحر، وموقف أهل السنة من البدع.

بدأ المؤلف كتابه بقوله: إن أهل الحديث يشهدون لله بالوحدانية ولرسوله بالرسالة ويعرفون ربهم عز وجل بصفاته التي نطق بها وحيه وتنزيله، أو شهد بها رسوله على ما وردت الأخبار الصحاح به.

وقال في ترتيب الصحابة في الفضل:

ويشهدون ويعتقدون أن أفضل أصحاب رسول الله ﷺ: أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم علي، وأنهم الخلفاء الراشدون.

ثم قال في رؤية الله عز وجل: وشهد أهل السنة أن المؤمنين يرون ربهم تبارك وتعالى بأبصارهم وينظرون إليه، على ما ورد به الخبر الصحيح، عن رسول الله ﷺ في قوله: «إنكم ترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر». والتشبيه وقع للرؤية بالرؤية، لا للمرئي بالمرئي.

وقال في الصلاة والجهاد خلف كل إمام مسلم والدعاء له وعدم الخروج عليه.

ويرى أصحاب الحديث الجمعة، والعيدين، وغيرهما من الصلوات خلف كل إمام مسلم برًا كان أو فاجرًا.

ويرون جهاد الكفرة معهم، وإن كانوا جورة فجرة.

ويرون الدعاء لهم بالإصلاح والتوفيق والصلاح.

ولا يرون الخروج عليهم بالسيف، وإن رأوا منهم العدول عن العدل إلى الجور والحيف.

ويرون الكف عما شجر بين أصحاب رسول الله ﷺ، وتطهير الألسنة في ذكر ما يتضمن عيبًا لهم، والموالاة لكافتهم.

وعن علامات أهل البدع قال:

وعلامات البدع على أهلها ظاهرة بادية، وأظهر آياتهم وعلاماتهم: شدة معاداتهم لحملة أخبار النبي ﷺ واحتقارهم لهم، وتسميتهم إياهم: حشوية، وجهلة، وظاهرية، ومشبهة.

وذكر أيضًا من علامتهم: (ليس شيء أثقل من أهل الإلحاد ولا أبغض إليهم من سماع الحديث وروايته بإسناده).

وقال دفاعًا عنهم- يعني أهل السنة-:

وأصحاب الحديث معصومون من هذه المصائب قلوبهم برية، نقية زكية تقية، وليسو إلا أهل السنة المضية، والسيرة المرضية، والسبل السوية، والحجج البالغة القوية.

وقال عن علامة أهل السنة:

وإحدى علامات أهل السنة: حبهم لأئمة السنة وعلمائها، وأنصارها وأوليائها، وبغضهم لأئمة البدع.

وقد زين الله سبحانه قلوب أهل السنة ونورها بحب علماء السنة، فضلاً منه جل جلاله ومنةً.

ثم نقل من كتاب الإيمان لقتيبة بن سعيد قوله: (فإذا رأيت الرجل يحب سفيان الثوري، ومالك بن أنس، والأوزاعي، وشعبة، وابن المبارك، وأبا الأحوص، وشريكًا، ووكيعًا، فاعلم أنه صاحب سنة(٢).

ثم قال ناصحًا إخوانه: ولا يغرنّ إخواني- حفظهم الله- كثرة أهل البدع، ووفور عددهم، فإن ذلك من أمارات اقتراب الساعة، إذ الرسول ﷺ قال: «إن من علامات الساعة واقترابها أن يقل العلم ويكثر الجهل». والعلم هو السنة، والجهل هو البدعة.

ومن تمسك اليوم بسنة رسول الله ﷺ وعمل بها، واستقام عليها، ودعا بالسنة إليها، كان أجره أوفر وأكثر من أجر من جرى على هذه الجملة، في أوائل الإسلام والملة، إذ الرسول ﷺ قال: «له أجر خمسين». فقيل: منهم، قال: «بل منكم». وإنما قال ﷺ ذلك لمن يعمل بسنته عند فساد أمته.

ثم ختم المؤلف كتابه الشيق هذا بأثر عن هارون الرشيد، وزجره لابن عمه عيسى بن جعفر، عندما اعترض وقال: كيف، على حديث من أحاديث رسول الله ﷺ.

فقال المؤلف معقبًا: هكذا ينبغي للمرء أن يعظم أخبار رسول الله ﷺ ويقابلها بالقبول والتسليم، وينكر أشد الإنكار على من يسلك فيها غير هذا الطريق الذي سلكه هارون الرشيد رحمه الله مع من اعترض على الخبر الصحيح الذي سمعه «بكيف»!!

وفقنا الله وإياكم إلى ما يحبه ويرضى، والله ولي التوفيق.

الهوامش:

(١) وهو غير الصابوني المعاصر صاحب كتاب «مختصر تفسير ابن كثير» الذي حذر منه العلماء.

(٢) وكذلك نحن نقول في عصرنا هذا: من أحب الشيخ الألباني وابن باز وابن عثيمين فاعلم أنه صاحب سنة.

تحذير الداعية من القصص الواهية

بقلم الشيخ: علي حشيش

الحلقة الثالثة عشرة

قصة ابن الأكرمين

نواصل في هذا التحذير تقديم البحوث العلمية الحديثية للقارئ الكريم، حتى يقف على حقيقة هذه القصة التي اشتهرت على ألسنة الخطباء والوعاظ والقصاص والكُتَّاب:

عن أنس بن مالك رضي الله عنه أتى رجل من أهل مصر إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فقال: يا أمير المؤمنين، عائذ بك من الظلم، قال: عذت بمعاذ، قال: سابقت ابن عمرو بن العاص فسبقته، فجعل يضربني بالسوط ويقول: أنا ابن الأكْرَمَيْن، فكتب عمر إلى عمرو يأمره بالقدوم عليه، ويَقْدم بابنه معه، فقدم، فقال عمر: أين المصري؟ خذ السوط فاضرب، فجعل يضربه بالسوط، ويقول عمر: اضرب ابن الألْيَمَيْن(١)، قال أنس: فضرب، فوالله لقد ضربه ونحن نحب ضربه، فما أقلع عنه حتى تمنينا أنه يرفع عنه، ثم قال عمر للمصري: ضع على صلعة عمرو، فقال: يا أمير المؤمنين، إنما ابنه الذي ضربني، وقد اشتفيت منه، فقال عمر لعمرو: مُذْ كم تعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارًا؟ قال: يا أمير المؤمنين، لم أعلم ولم يأتني.

تخريج القصة

هذه القصة أخرجها ابن عبد الحكم في «فتوح مصر وأخبارها» (ص٢٩٠)، والقصة أوردها محمد بن يوسف الكاندهلوي في «حياة الصحابة» (٢/٨٨) باب: عدل النبي ﷺ وأصحابه، قال: وأخرج ابن عبد الحكم عن أنس رضي الله عنه أن رجلاً من أهل مصر أتى عمر بن الخطاب وقال: يا أمير المؤمنين... القصة. ثم قال: كذا في «منتخب كنز العمال» (٤/٤٢٠).

قُلْتُ: وبالرجوع إلى «كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال» للعلامة علاء الدين المتقي بن حسام الدين الهندي وجدنا القصة تقع في «كنز العمال» (١٢/٦٦٠) رقم (٣٦٠١٠)، وعزاه لابن عبد الحكم أيضًا.

التحقيق

هذه القصة واهية وسندها منقطع ومظلم.

يظهر هذا الانقطاع من الصناعة الحديثية في السند، حيث قال ابن عبد الحكم في «فتوح مصر» (ص ٢٩٠):

حُدِّثنا عن أبي عبدة، عن ثابت البُناني وحُمَيْد، عن أنس. فذكر القصة.

قُلْتُ: قول ابن عبد الحكم: «حُدِّثنا عن أبي عبدة» يظهر منها طريقة تحمله للقصة وصيغة الأداء.

والمراد بتحمله: بيان طرق أخذه وتلقيه

عن الشيوخ.

ولفظ الأداء في رواية ابن عبد الحكم للقصة مبني للمجهول، وبهذا لم يعرف مَن الشيخ الذي أخذ عنه وتلقى عنه هذه القصة، وترتَّب عليه عدم معرفة أبي عبدة الذي روى عنه هذا المجهول وأصبح السند مظلمًا بهذه الجهالة، وزاد الجهالة جهالة أنه بالبحث عمن روى عن ثابت في «تهذيب الكمال» (٣/٢٤٤/٧٩٧) وجدنا أن عددهم (١٠٤) رواة لم يكن من بينهم أبو عبدة، وزاد الجهالة جهالة أيضًا أنه بالبحث عمن روى عن حميد في «تهذيب الكمال» (٥/٢٣٦/١٥٠٧) وجدنا أن عددهم (٧٣) راوياً لم يكن من بينهم أبو عبدة.

وبهذا التحقيق أصبح السند منقطعًا ومظلمًا.

أوجه نكارة المتن

أولاً: قول عمر للمصري: «ضع على صلعة عمرو».

قلت: وجه النكارة هي مؤاخذة عمرو بذنب ولده. والله تعالى يقول: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [الإسراء: ١٥]، قال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» (٥/٣٤): (أي لا يحمل أحد ذنب أحد، ولا يجني جان إلا على نفسه).

وقال القرطبي رحمه الله في «تفسيره الجامع لأحكام القرآن» (٣/٢٦٧٦- دار الغد): أي لا تحمل حاملة ثقل أخرى، أي لا تؤخذ نفس بذنب غيرها، بل كل نفس مأخوذة بجرمها ومعاقبة بإثمها.

سنة الجاهلية

أخرج البخاري في «صحيحه» (١٢/٢١٩- فتح) (ح٦٨٨٢) قال: حدثنا أبو اليمان، أخبرنا شعيب، عن عبد الله بن أبي حسين، حدثنا نافع بن جبير عن ابن عباس أن النبي ﷺ قال: «أبغض الناس إلى الله ثلاثة: مُلْحِد في الحرم- ومُبتغ في الإسلام سنة الجاهلية، ومُطَّلِب دم امرئ بغير حق ليهريق دمه».

وجملة: «مبتغ في الإسلام سنة الجاهلية»، والتي هي موضوع بحثنا، والتي يتبين منها أن القصة منكرة المتن، حيث جاء فيه: «ضع على صلعة عمرو»، وبعض القصاص والكتاب يوردها بالمعنى: «أدرها على صلعة عمرو».

يظهر ذلك من قول الحافظ في «الفتح» (١٢/٢١٩): (قوله: «ومبتغ في الإسلام سنة الجاهلية»:

١- أي يكون له الحق عند شخص فيطلبه من غيره ممن لا يكون له فيه مشاركة كوالده، أو ولده، أو قريبه.

٢- وقيل المراد: من يريد بقاء سيرة الجاهلية أو إشاعتها أو تنفيذها.

٣- وسنة الجاهلية جنس يعم جميع ما كان أهل الجاهلية يعتمدونه من أخذ الجار بجاره، والحليف بحليفه ونحو ذلك، ويلتحق بذلك ما كانوا يعتقدونه، والمراد منه ما جاء الإسلام بتركه). اهـ.

ملحوظة:

وقد يحاول من لا دراية له بالصناعة الحديثية تأويل قول عمر، والتأويل فرع التصحيح، والقصة واهية، وسندها منقطع مظلم. فمؤاخذة الوالد بفعل ولده سنة الجاهلية، وهذا منكر يجب أن لا ينسب إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

ثانيًا: الشتم

في هذه القصة الواهية يُنْسب إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال للمصري وهو يضرب ابن عمرو بن العاص: «اضرب ابن الألْيَمين». يعني الألأمين.

قلت: وهذا اللفظ أشد من لفظ (لئيم)؛ لأن هناك اللئيم والألأم، ولفظ (اللئيم) كما في «لسان العرب» (١٢/٥٣٠) معناه: «الدنيء الأصل الشحيح النفس».

قلت: والتعيير بالأصل لا يجوز؛ لأنه من

أمور الجاهلية، والشاهد ما أخرجه الإمام البخاري في «صحيحه» (ح٣٠، ٢٥٤٥، ٦٠٥٠) من حديث أبي ذر قال: إني ساببت رجلاً فعيَّرته بأمه، فقال لي النبي ﷺ: «يا أبا ذر، أعيرته بأمه؟ إنك امرؤٌ فيك جاهلية». قال الحافظ ابن حجر رحمه الله في «الفتح» (١٠٨/١): ويظهر لي أن ذلك كان من أبي ذر قبل أن يعرف تحريمه، فكانت تلك الخصلة من خصال الجاهلية باقية عنده، فلهذا قال- كما عند المؤلف في «الأدب»-: قلت: على ساعتي هذه من كبر السن؟ قال: «نعم»، كأنه تعجب من خفاء ذلك عليه مع كبر سنه، فبين له كون هذه الخصلة مذمومة شرعًا.

قلت: من هذا التخريج والتحقيق يتبين أن القصة واهية.

اشتهار القصة

لقد اشتهرت هذه القصة الواهية على ألْسِنَةِ القُصَّاص والوعاظ والخطباء حتى قررتها وزارة التربية والتعليم على طلاب الثانوية العامة، حيث أورد هذه القصة الواهية الكاتب عباس محمود العقاد في كتابه «عبقرية عمر» (ص١٤٦، ١٤٧) طبعة الجهاز المركزي للكتب الجامعية والمدرسية والوسائل التعليمية طبعة سنة (١٣٩٩هـ- ١٩٧٩م)، فاشتهرت القصة بين آلاف الطلبة.

وإن تعجب فعجب أن الكاتب العقاد قدَّم لهذه القصة بأن عمر رضي الله عنه قد يأخذ الوالي أحيانًا بوزْر ولده أو ذوي قرابته، ثم اتخذ من هذه القصة شاهدًا على ذلك، ثم يذكر عبارة: قال أنس بن مالك راوي القصة.

والكاتب العقاد الذي فُتن الكثير بكتابته حتى اتخذها هؤلاء حقائق قد افتقر منهجه إلى البحوث العلمية.

برهان آخر

في كتابه «عمرو بن العاص» (ص/١٦/ طبعة دار الكتاب- بيروت- لبنان) أورد العقاد قصة للصحابي الجليل عمرو بن العاص رضي الله عنه والصحابية الجليلة أَرْوَى بنت الحارث بن عبد المطلب الهاشمية، فقال العقاد: شتم عمرو بن العاص أروى بنت الحارث بن عبد المطلب بمجلس معاوية فانتهرته قائلة: وأنت يا ابن النابغة تتكلم، وأمك كانت أشهر امرأة تغني بمكة وآخذهن لأجرة؟ اربع على ظَلْعك، واعن بشأن نفسك، فوالله ما أنت من قريش في اللباب من حسبها ولا كريم منصبها، ولقد ادَّعاك خمسة نفر من قريش كلهم يزعم أنه أبوك، فسئلت أمك عنهم، فقالت: كلهم أتاني فانظروا أشبههم به فألحقوه به!!

قلت: انظر إلى هذا المنهج الذي يطعن في صحابة النبي ﷺ، فمنهج العقاد يجعل الصحابي الجليل عمرو بن العاص رضي الله عنه شتامًا ابن زانية، والتي تسبُّه هي الصحابية الجليلة أروى بنت الحارث بن عبد المطلب الهاشمية بنت عم النبي ﷺ. انظر ترجمتها في «الإصابة في حياة الصحابة» (٤٧٩/٧) لابن حجر ترجمة (١٠٢٨٢). قال الحافظ: ذكرها ابن سعد في «الصحابيات في باب بنات عم النبي ﷺ» لتعرف مدى نكارة هذه القصة.

قلت: وانظر «الطبقات» لابن سعد (٤٠/٨) ترجمة (٤١٢٠).

وإن شاء الله سأواصل بيان هذه القصص الواهية التي اشتهرت وتطعن في خير الناس، فقد ثبت في مسند أحمد والصحيحين وسنن الترمذي من حديث ابن مسعود عن النبي ﷺ قال: «خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يجيء أقوام تسبق شهادة أحدهم يمينه، ويمينه شهادته».

هذا ما وفقني الله إليه، وهو وحده من وراء القصد.

متى نصر الله ؟!

بقلم: خليل حمد الكاموني

يقول المولى جل ذكره في محكم تنزيله: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم: ٤٧].

لسائل أن يقول: وعد الله المؤمنين في هذه الآية بالنصر على أعدائهم وعدًا مؤكدًا، فما العلة في تخلف هذا النصر الموعود من الله- صادق الوعد- عن الأمة الإسلامية في هذه الآونة، وما الذي يجب عليهم أن يأخذوا به حتى يرجع إليهم نصره سبحانه؟

نقول وبالله التوفيق: أما نصر الله عز وجل لعباده المؤمنين الصادقين فثابت بشهادة الله عز وجل: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾، وفي قوله: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾ [غافر: ٥١]، ثم بشهادة السنة المطهرة في قوله عليه الصلاة والسلام: «لا تزال طائفة من أمتي على الحق منصورة، لا يضرهم من خالفهم ولا من خذلهم حتى تقوم الساعة». [رواه البخاري (٣٦٤٠)، ومسلم (١٩٢١)، وأحمد (٢٤٤/٤) من حديث المغيرة بن شعبة رضي الله عنه].

هذا، وإن حدث أن غُلبوا في بعض المواقع والأحداث، فإما ذلك نتيجة لعدم صدق نيتهم وعزيمتهم، أو لارتكابهم الذنوب والمعاصي، أو هو ابتلاء من الله سبحانه وتعالى واختبار لعباده؛ ليميز المؤمن الصادق من المنافق المذبذب، والمطيع من العاصي، والصابر من غيره، كما قال تعالى: ﴿الم. أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ. وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾ [العنكبوت: ١ - ٣]، وقوله: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاء وَالضَّرَّاء وَزُلْزِلُواْ حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللّهِ أَلا إِنَّ نَصْرَ اللّهِ قَرِيبٌ﴾ [البقرة: ٢١٤]، وقوله: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ﴾ [محمد: ٣١].

فالله سبحانه وتعالى يفعل ما شاء إذا شاء كيف شاء بمقتضى حكمته جل وعلا، ولا يظفر بنصره إلا من هو على الحق وكان إليه داعيًا، وفي عبادته مخلصًا، ولنبيه ﷺ متبعًا.

إذن فلا بد قبل النصر من معاناة وتمحيص وجهاد؛ لأن النصر يقتضي منصورًا ومنصورًا عليه، إذًا فلا بد من مغالبة، ولا بد من محنة، ولكن كما قال العلامة ابن القيم رحمه الله:

الحق منصور وممتحن فلا .... تعجب فهذي سنة الرحمن

ثم إن النصر ليس نصر الإنسان بشخصه، بل النصر الحقيقي أن ينصر الله تعالى ما تدعوا إليه من الحق، أما إذا أصيب الإنسان بذل في الدنيا، فإن ذلك لا ينافي النصر، فالنبي ﷺ أوذي إيذاءً عظيمًا، لكن في النهاية انتصر على من آذاه، ودخل مكة منصورًا مؤزرًا ظافرًا بعد أن خرج منها خائفًا. [«شرح العقيدة الواسطية» للشيخ ابن عثيمين (٣٤٣/٢) باختصار].

الذنوب سبب تخلف المسلمين!!

وقد عرف العقلاء أن علو اليهود إنما حصل بسبب ذنب من المسلمين اقترفوه، ولو استقاموا ما ذلوا، فإن ذنوب الجيش جند عليه، والله سبحانه يقول: ﴿مَّا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ﴾ [النساء: ٧٩]. فبسبب الاختلاف في النزعات والأهواء بين المسلمين تقطعت وحدتهم إربًا وأوصالاً، وصاروا شيعًا وأحزابًا، ففشا بينهم الفوضى والشقاق، وقامت الفتن على قدم وساق، وهي فرصة سنح للعدو فيها المواثبة، فقويت شوكته، وعظمت صولته، وسلط على المسلمين بجبروته وقوته، حتى أخذ الناس يقولون: متى نصر الله، ﴿أَلا إِنَّ نَصْرَ اللّهِ قَرِيبٌ﴾. [التوحيد، السنة السادسة والعشرين، العدد الأول ١٤١٨هـ، ص٧١، ٧٤].

منهاج النصر الموعود

النصر من عند الله العزيز الحكيم، المحيط بكل شيء علمًا، دون غيره من البشر أو الملائكة، ولو ملك العدة والتجهيز، أو المهارة بالحرب، أو نحو ذلك من الأسباب، فالله سبحانه هو وحده المحقق للنصر والمسخر له، دون غيره، كما قال سبحانه: ﴿وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللّهِ﴾ [الأنفال: ١٠]، ﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ. بِنَصْرِ اللَّهِ يَنصُرُ مَن يَشَاء﴾ [الروم: ٤، ٥]، لكن لله سنة في خلقه، ﴿وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلاً﴾ [الأحزاب: ٦٢]، ولكي يتم النصر لا بد من مراعاة الشروط التالية:

○ العودة إلى التوحيد الخالص:

ونعني به التمسك بالعقيدة الصحيحة النابعة من المصدرين الأصليين: الكتاب الكريم، والسنة المطهرة بفهم السلف الصالح، فنترك التعلق بكل ما سوى الله سبحانه، وتصحيح العقيدة من أوجب الواجبات الإسلامية؛ لذا أمضى رسول الله ﷺ ثلاث عشرة سنة في مكة المكرمة يدعو إلى التوحيد الخالص المطهر من جميع الشوائب الشركية؛ ليكون القلب موضع التعلق بالرب جل وعلا وحده في كل حين وعلى كل حال.

وهو- أي تصحيح العقيدة- من أهم ما يحقق النصر الموعود؛ لقول المولى جل ذكره: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [النور: ٥٥].

قال الدكتور مصطفى السباعي رحمه الله: إن النصر في المعارك لا يكون بكثرة العدد، ووفرة السلاح، وإنما يكون بقوة الروح المعنوية لدى الجيش، وقد كان الجيش الإسلامي في المعارك التي حدثت في عهد رسول الله ﷺ يمثل العقيدة النقية والإيمان المتقد، والفرح بالاستشهاد، والرغبة في ثواب الله وجنته، بينما جيش المشركين يمثل فساد العقيدة وتفسخ الأخلاق، وتفكك الروابط الاجتماعية، والانغماس في الملذات، والعصبية العمياء للتقاليد البالية، وموروث الآباء الماضي، والآلهة المزيفة. اهـ. «السيرة النبوية» (ص١٢) بتصرف يسير.

○ إخلاص النية:

وهو أن لا يريد العبد بعمله إلا وجه الله ورضاه، بأن يبتغي هدفه الأساسي للنصر على أن تكون كلمة الله هي العليا، وكلمة الذين كفروا السفلى، فيجتنب القومية والأنانية وحب الشهرة والإعجاب بكثرة العدد أو العدة، ونحو ذلك من الصفات الذميمة التي قاتل لأجلها كثير من المسلمين في الآونة المتأخرة، ولم تجلب لهم إلا خبالا وخسارًا.

روى الجماعة عن أبي موسى رضي الله عنه قال: سئل رسول الله ﷺ عن الرجل يقاتل شجاعة، ويقاتل حمية، ويقاتل رياء، فأي ذلك في سبيل الله؟ فقال: «من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله».

وجاء في حديث أبي أمامة الذي رواه أحمد والنسائي قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال له: أرأيت رجلاً غزا يلتمس الأجر والذكر ما له؟ فقال رسول الله ﷺ: «لا شيء له»، فأعادها ثلاث مرات، يقول له رسول الله ﷺ: «لا شيء له». ثم قال: «إن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصًا وابتغي به وجهه».

ويقول الإمام النووي رحمه الله تعالى في حديث الثلاثة الذين أول من تسعر بهم النار يوم القيامة: وفي الحديث دليل على تغليظ تحريم الرياء، وشدة عقوبته يوم القيامة، وعلى الحث على وجوب الإخلاص في الأعمال، كما قال تعالى: ﴿وما أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاء﴾ [البينة: ٥].

وأضاف: وفيه أن العمومات الواردة في فضل الجهاد إنما هي لمن أراد الله تعالى بذلك مخلصًا. اهـ. باختصار «الأحاديث القدسية» (١/٢٩١).

ويجدر بنا أن نلقي نظرة اعتبار إلى تاريخنا الإسلامي الخالد، نجده يقول: أبطأ الجيش الذي غزا مصر في فتحها في عهد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فالتمس عمر علة ذلك في ضعف نياتهم، وكتب إليهم: عجبت لإبطائكم عن فتح مصر تقاتلونهم منذ سنتين؛ وما ذاك إلا لما أحدثتم وأحببتم من الدنيا ما أحب عدوكم، وإن الله تعالى لا ينصر قومًا إلا بصدق نياتهم. [التوحيد، السنة السادسة والعشرون، شعبان ١٤١٨هـ، ص ١].

فمن أخلص كان نصر الله منه قريبًا، وكان عدوه منه خائفًا، وبين الناس شهيرًا موقرًا، وعند الله وجيهًا مرضيًا، ومن رائى كان مما ذُكر محرومًا، وعند الله ذليلاً مغضوبًا عليه، وللخلق خاضعًا خائفًا.

○ ترك الذنوب والمعاصي:

كان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه يأمر المجاهدين في سبيل الله أن يكونوا أشد احتراسًا من المعاصي، وقد كتب إلى سعد بن أبي وقاص قائد الجيش وصية يقول فيها: أما بعد، فإني آمرك بتقوى الله على كل حال، فإن تقوى الله أفضل العدة على العدو، وأقوى المكيدة في الحرب، وآمرك ومن معك أن تكون أشد احتراسًا من المعاصي منكم من عدوكم، فإن ذنوب الجيش جند عليه، وهي أخوف منهم على عدوهم، وإنما ينصر المسلمون بمعصية عدوهم لربهم، ولولا ذلك لم تكن لنا قوة بهم؛ لأن عددنا ليس كعددهم، وإن استوينا نحن وإياهم في المعصية كان لهم الفضل علينا في القوة، وإن لم ننصر عليهم بفضلنا لم نغلبهم بقوتنا، واعلموا أن عليكم حفظة من الله، يعلمون ما تفعلون، فاستحيوا منهم ولا تعملوا بمعاصي الله وأنتم في سبيل الله، ولا تقولوا إن عدونا شر منا فلن يسلط علينا، فرب قوم قد سلط عليهم من هو شر منهم كما سلط على بني إسرائيل كفرة المجوس، ﴿فَجَاسُواْ خِلاَلَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْداً مَّفْعُولاً﴾ [الإسراء: ٥]. [التوحيد، السنة السادسة والعشرون، محرم ١٤١٨هـ، ص ١٣].

يقول الحافظ ابن كثير رحمه الله في «البداية والنهاية»: لما حوصرت عكا من قبل الصليبيين في عهد صلاح الدين رحمه الله، واشتد الحصار وتأخر النصر، وكان القاضي الفاضل بمصر يدير الممالك ويجهز إلى السلطان ما يحتاج إليه من الأموال وعمل الأسطول والكتب السلطانية، فمنها كتاب يذكر فيه: إن سبب هذا التطويل في الحصار كثرة الذنوب وارتكاب المعاصي بين الناس، فإن الله لا ينال ما عنده إلا بطاعته، ولا تفرج الشدائد إلا بالرجوع إليه وامتثال أمره، فكيف لا يطول الحصار ويتأخر النصر والمعاصي في كل مكان فاشية؟! وقد صعد إلى الله منا ما يتوقع التوبة والإنابة منه، وإن بيت المقدس قد ظهر فيه المنكرات والفواحش والظلم.

وإننا قد أوتينا من قبل أنفسنا، ولو صدقنا لعجل الله لنا عواقب صدقنا، ولو أطعناه لما عاقبنا بعدونا، ولو فعلنا ما نقدر عليه من أمره لفعل لنا ما لا نقدر عليه إلا به.

فلا يخاصم أحد إلا نفسه، ولا يرج إلا ربه، ولا يغتر بكثرة العساكر والأعوان، ولا فلان الذي يعتمد عليه أن يقاتل ولا فلان، فكل هذه مشاغل عن الله ليس النصر بها، وإنما النصر من عند الله، ولا نأمل أن يكلنا الله إليها. والنصر به واللطف منه.

فكانوا يحصدون المشركين حصدًا؛ استجابة لأمر بهم: ﴿فَاضْرِبُواْ فَوْقَ الأَعْنَاقِ وَاضْرِبُواْ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾ [الأنفال: ١٢].

○ الصبر:

قال الشيخ مصطفى المراغي رحمه الله: والمؤمن أحرى بالصبر الذي هو من أجل عوامل النصر من الكافر؛ إذ هو أقل حرصًا على متاع الدنيا، وأعظم رجاءً لله والدار الآخرة، يؤيد هذا قول الله تعالى: ﴿وَلاَ تَهِنُواْ فِي ابْتِغَاء الْقَوْمِ إِن تَكُونُواْ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لاَ يَرْجُونَ﴾ [النساء: ١٠٤]. «تفسير الشيخ مصطفى المراغي» (٩/١٨٠).

وقال أيضًا في تفسير قوله تعالى: ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ﴾ أي: يا أيها الذين آمنوا، لا تولوا الكفار ظهوركم أبدًا، فأنتم أولى منهم بالثبات والصبر ثم بنصر الله تعالى. اهـ.

يقول الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: فلا يلحقك العجز والكسل أيها المسلم إذا رأيت أن الأمور لم تتم لك بأول مرة، بل اصبر وكرر مرة بعد أخرى، واصبر على ما يقال فيك من استهزاء وسخرية؛ لأن أعداء الدين كثيرون، لا يثني عزمك أن ترى نفسك وحيدًا في الميدان، فأنت الجماعة، وإن كنت واحدًا ما دمت على الحق، ولهذا ثق بأنك منصور إما في الدنيا وإما في الآخرة. «شرح العقيدة الواسطية» (٢/٣٤٣).

صبرًا دعاة الإسلام ويا أيها المجاهدون في سبيل الله، فإن النصر من عند الله العزيز الحكيم، والأرض لله يورثها من يشاء من عباده، والعاقبة للمتقين، واعلموا أن أعداء الإسلام خاسرون منهزمون، ولو أنفقوا ما أنفقوا: ﴿الَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُواْ إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ﴾ [الأنفال: ٣٦].

○ **الوحدة والتضامن:**

لا تتم سعادة مجتمع ما إلا بالوحدة والتضامن والترابط، وقديمًا قيل: (اليد الواحدة لا تصفق)، ولأهمية الوحدة والترابط في حماية المجتمع الإسلامي من التمزق والشتات، وإحيائه حياة طيبة، تحت راية البر والتعاون، يقول النبي ﷺ: «مثل المؤمنين في تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم مثل الجسد، إذا اشتكى منه عضو، تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى». [متفق عليه]، و«المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضًا». [متفق عليه].

وإن جيشًا متراص الصف، متحد الكلمة، قوي الإيمان، صادق العهد، أجدى للأمة- ولو كان قليل العدد- وأدعى لاكتساب النصر من جيش كثير العدد، متفاوت الفكرة والقوة والثبات، ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٤٩]). اهـ. «السيرة النبوية» (ص١٦٠).

○ **الاستعداد التام لجهاد العدو في أي وقت:**

ومع اعتقادنا بأن النصر من عند الله العزيز الحكيم، فقد طالبنا الله تعالى بالتجهيز التام والاستعداد الكامل في أي وقت وعلى كل حال، لمقابلة أعدائنا الذين كانوا لنا بالمرصاد، قال تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدْوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ [الأنفال: ٦٠]، وقال ﷺ: «ألا إن القوة الرمي». [رواه مسلم].

(والقوة تختلف باختلاف الأحوال والأزمان، ولكل زمن دولة وقوة ورجال تناسب حال القتال). [التوحيد، السنة السادسة والعشرون، محرم ١٤١٨هـ، ص٦٨].

والمتأمل لحياة الغرب اليوم يعلم أنهم قد بادروا إلى تنمية وتطوير كل ما جاء به الإسلام من سياسة الحرب ووسائل الغلبة، فقد تعلموا الرماية، وملكوا العدة، واستعدوا استعدادًا هائلاً، والمسلمون- للأسف- ساكتون متهاونون بها، وليسوا في الحقيقة جاهلين، وبهذا تمكن هؤلاء الأعداء من إرهاب بعض الفئات المسلمة، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

تطبيق تعاليم القرآن الحكيم طريق السعادة والتمكين!!

يا ليت المسلمين طبقوا تعاليم القرآن الحكيم، فلو طبقوها- والله- لسادوا وسعدوا، كيف لا والله يقول: ﴿وَلاَ تَهِنُوا وَلاَ تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٩].

اللهم انصر إخواننا المجاهدين على المعتدين الظالمين، اللهم لا تسلط علينا بذنوبنا من لا يخافك فينا ولا يرحمنا يا أرحم الراحمين، فأنت يا ربنا خير الناصرين، اللهم رد المسجد الأقصى والقدس الشريف للمسلمين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

من روائع الماضي

﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا﴾

بقلم:

الشيخ محمد صادق عرنوس

رحمه الله

قال تعالى من سورة «فاطر»: ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ فَلاَ تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ [فاطر: ٨].

يصف الله سبحانه وتعالى بهذه الآية وما ماثلها من الآيات حالة تلابس كثيرًا من الناس، وهي أن أحدهم يعمل العمل يعتقد أنه حسن جميل نافع للناس، وهو في الواقع من أقبح الأعمال وأعودها عليهم بالمضرة وسوء المغبة في معاشهم ومعادهم، وهذا عيب خطير كان وما يزال فاشيًا فيهم، ما صدروا في أعمالهم من غير ميزان فاختلط الحق بالباطل وصارت القوة الغاشمة هي التي تضع لهم الحدود بحسب هواها، فالحق ماساير هذا الهوى وكان له مطية ذلولاً، والباطل ما وقف في طريقه وحال بينه وبين مشتهياته.

وهكذا كان الناس قديمًا كلما حادوا عن النهج ولم يميزوا الخبيث من الطيب؛ أرسل سبحانه إليهم الرسل تردهم إلى الجادة وتعرفهم الحق والباطل، وتضع لهم الموازين التي يزنون بها أعمالهم، فمن وافقها فذاك، وإلا فهو في ضلال مبين.

واستمع إلى قوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحديد: ٢٥]، وإلى

قوله سبحانه: ﴿اللَّهُ الَّذِي أَنزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ﴾ [الشورى: ١٧]، فعلى معايير الميزان الذي وضعه في الدنيا توضع موازين الحساب يوم القيامة، ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ. فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ. وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ. فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ. وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ. نَارٌ حَامِيَةٌ﴾ [القارعة: ٦- ١١].

والله عز وجل شديد الغيرة على ميزانه أن يتلاعب به الناس، شديد الانتقام ممن أخل به في الدنيا والآخرة، فلقد قال في قوم، ذلك شأنهم: ﴿لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الآخِرَةِ أَخْزَى وَهُمْ لاَ يُنصَرُونَ﴾ [فصلت: ١٦].

ويقول تعالى: ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ كَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾ [محمد: ١٤]، فالناس فريقان: فريق يزن أعماله بما أمر الله أن توزن به من كتاب وسنة فهو على بينة من ربه، وفريق يزنها بموازين ما أنزل الله بها من سلطان، سواء أكانت من وضع البشر ابتداء، أو كانت ترتكز على أصل من أصول الدين، شوهوا جماله وحرفوه من بعد مواضعه، فأولئك الذين زين لهم سوء أعمالهم، واتبعوا أهواءهم، وهم بأعينهم الذين يقول الله فيهم: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً. الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ [الكهف: ١٠٣، ١٠٤]، ثم تراه في موطن آخر يضعهم في صورة تكشف عن بعض نواحي الشر فيهم، فيقول: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ. وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لاَ يُحِبُّ الْفَسَادَ. وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ [البقرة: ٢٠٤، ٢٠٥].

ووصف سبحانه هذين الفريقين بأسلوب بليغ آخر، فقال: ﴿أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٢].

كل ذلك ليقطع خط الرجعة على الذين يفسدون في الأرض ولا يصلحون، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا، فليست المسألة دعوى تُدْعَى، يؤيدها السلطان، وذرابة اللسان وإن كان الواقع يكذبها، ولكن للأعمال كلها مسبارًا هو الكتاب العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وضع الأمور في نصابها، ودخل البيوت من أبوابها، وفرغ من تقدير الخير والشر، فحكمه حجة على المبطلين وشهادة للمحقين، حتى ولو استدرج أهل الباطل وطاولهم في الدنيا فكانت الغلبة لهم فيها، فأهل الحق وهم: ﴿الَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [البقرة: ٢١٢].

وهيهات أن تتغير أعيان الفضائل بهوى الناس، فلن تكون الضلالة هدى مهما زوروها وصبغوها بالألوان الزاهية، وأخدموها السيف والذهب- هذا يخيف وذا يغري- فالضلالة سماها الله ضلالة، فهي هكذا إلى يوم القيامة، والهدى سماه الله هدياً، فهو هكذا إلى يوم القيامة.

فليقصر الآخذون بغير ما أنزل الله: مجددين- على زعمهم- كانوا أو مخرفين، فالله حين أنزل كتابه عربيًا غير ذي عوج أعلم منهم بمصلحة عباده، فليتقوا يومًا لا بد أن يقال لهم فيه: ﴿وَلَن يَنفَعَكُمُ الْيَوْمَ إِذ ظَّلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ﴾ [الزخرف: ٣٩]. كما قال لهم: ﴿هَذَا كِتَابُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ. فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ. وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا أَفَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَى عَلَيْكُمْ فَاسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنتُمْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ﴾ [الجاثية: ٢٩، ٣٠].

أما النجاة من هذا المصير فسبيلها الإذعان الخالص لما يأمر الله بقوله: ﴿اسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لاَّ مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ مَا لَكُم مِّن مَّلْجَأٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٍ﴾ [الشورى: ٤٧].

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

○○○

جماعة أنصار السنة المحمدية

تأسست عام ١٣٤٥ هـ ـ ١٩٢٦ م

١ ـ الدعوة إلى التوحيد الخالص المطهر من جميع الشوائب .

وإلى حب الله تعالى حباً صحيحاً صادقاً يتمثل فى طاعته وتقواه، وحب رسول الله صلى الله عليه وسلم حباً صحيحاً صادقاً يتمثل فى الاقتداء به واتخاذه أسوة حسنة.

* * *

٢ ـ الدعوة إلى أخذ الدين من نبعيه الصافيين ـ القرآن والسنة الصحيحة ـ ومجانبة البدع والخرافات ومحدثات الأمور.

* * *

٣ ـ الدعوة إلى ربط الدنيا بالدين بأوثق رباط : عقيدة وعملاً وخلقاً.

* * *

٤ ـ الدعوة إلى إقامة المجتمع المسلم والحكم بما أنزل الله فكل مشرع غيره ـ فى أى شأن من شئون الحياة ـ معتد عليه سبحانه، منازع إياه في حقوقه.

* * *

تلقى بدار المركز العام للجماعة محاضرات دينية يومياً بعد صلاة المغرب

تعلن مجلة التوحيد

عن وجود مجلدات مجلة التوحيد للبيع وقد تقرر أن يكون سعر المجلد لأى سنة داخل مصر للأفراد والهيئات والمؤسسات ودور النشر ١٥ جنيها مصرى. وفروع أنصار السنة ١٢ جنيها . ويتم البيع للأفراد خارج مصر بسعر ١٠ دولار أمريكى. والهيئات والمؤسسات ودور النشر ٨ دولار

مفاجأة كبرى

لأول مرة نقدم لك كرتونة كاملة تحتوى على ٢٩ مجلدا من مجلة التوحيد ٢٩ سنة كاملة
٤٥٠ جنيها سعر للكرتونة للأفراد والهيئات والمؤسسات داخل مصر
و ١٢٠٠ دولارا لمن يطلبها خارج مصر بخلاف سعر الشحن

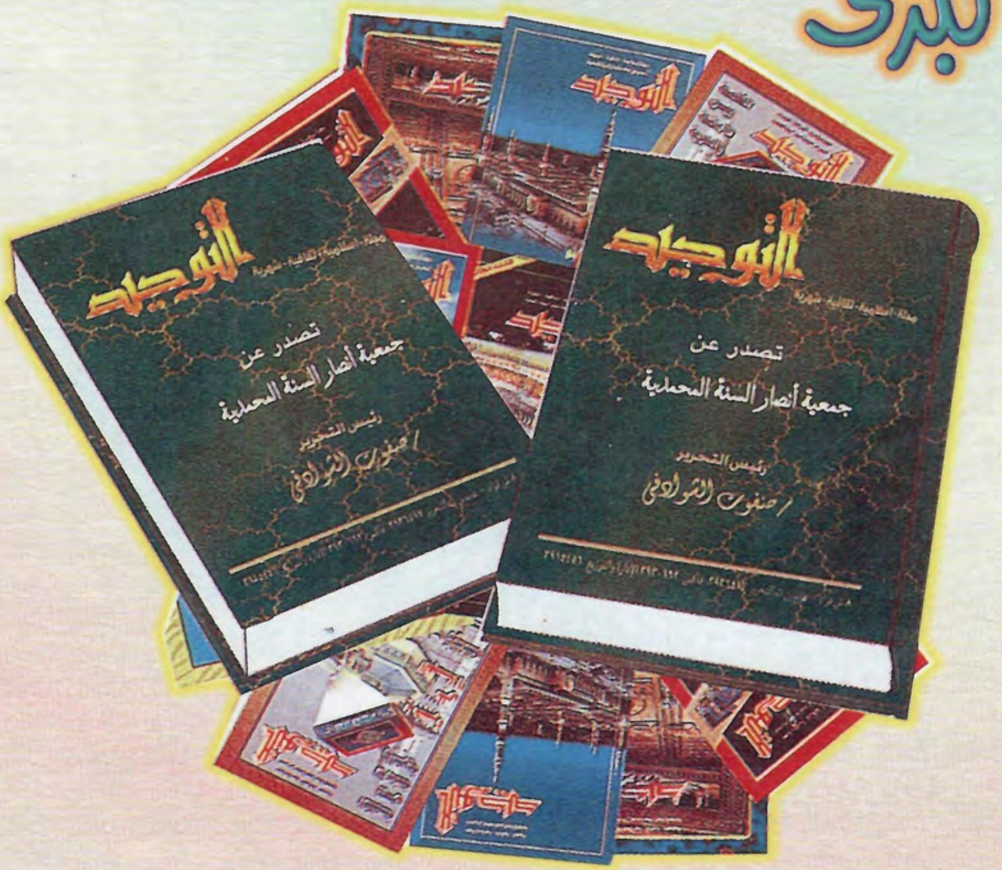
التوحيد
مجلة إسلامية ثقافية شهرية
تصدر عن
جمعية أنصار السنة المحمدية
رئيس التحرير
صفوت الشوادفي

مكان البيع بالمركز العام الدور السابع المجلة: ٣٩٣٦٥١٧ الإشتراكات: ٣٩١٥٤٥٦